الأحزاب السياسية

والفصل بين الدين والسياسة

إهداء

إلى الأخ المؤمن الكريم

الأستاذ أحمد عادل

أهدي هذا الكتاب

راجيا النصح في

سبيل الله وعلى

الله قصد السبيل

د. فاروق عبد السلام

١٠ شوال ١٤٠٢هـ

الدكتور

فاروق عبد السلام

الناشر

مكتب قليوب للطبع والتوزيع

ت: ٩٥٦٤٨٨

من الدستور الإلهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

" قل إن صلاتى ونسكى ومحياى
ومماتى لله رب العالمين "

سورة الأنعام ١٦٢

تمهيـــــد

القول بالفصل بين الدين والسياسة من المبادىء التى ابتدعها الغرب المسيحى والاتفاق على القول بسلطة دينية وسلطة زمنية هو رد الفعل الطبيعى والمحصلة النهائية لما كان من صراع دموى معلوم بين الكنيسة والدولة .

وتكشف بعض الوثائق والدراسات الجادة عن يد خفية للفكر اليهودى حركت مبدأ الفصل بين الدين والسياسة وشجعت عزل الدين وإبعاده عن المسرح السياسى تمهيداً لخلاصهم من مجتمع الجيتو المغلق المنبوذ ومساواتهم بالآخرين فى التمتع بسائر الحقوق المدنية والسياسية .

ولما كان الغرب قد حقق سبقاً نسبياً فى المجال السياسى نظاماً واستقراراً وسبقاً فعلياً فى المجال التكنولوجى والعلمى . . اعتقد البعض فى أهمية مبدأ الفصل بين الدين والسياسة وضرورة العمل به فى شتى الظروف وفى ظل جميع الأديان . . وأصبح بين المسلمين من يأخذ بهذا الرأى ويؤمن به ويدعو إليه رغم مجافاة المبدأ للحس الإسلامى وخروجه على روح الشريعة قولا وفعلا .

هذا والبحث فى ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة متشعب الجوانب والمشاكل تاريخياً ودينياً وسياسياً نحصره فى هذا المجال المحدود من الدراسة مرتبطاً بقضية الأحزاب السياسية بحسب الأمر الذى أصبح من الضرورة بمكان إذا كنا نغار على شريعتنا الخالدة بعد ما تعرض قانون الأحزاب الجـــديد للمشكلة بالنص وأضفى الشرعية على هذا الفصل محل الدراسة والبحث إذ ورد فى شروط تأسيس أى حزب سياسى :

« عدم قيام الحزب على أساس طبقى أو طائفى أو فئوى أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب العقيدة الدينية أو العنصر أو الجنس » .

والبحث فى ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة يثير العديد من التساؤلات حول طبيعة وأبعاد وحدود هذا الفصل ! !

وهل وقع فعلا فى يوم من الأيام ما يمكن أن يعد فصلا تاماً وحقيقياً بين الدين والسياسة ؟ !

أم أنه فصل من هذا النوع القائم بين السلطات الثلاث القضائية والتشريعية والتنفيذية ؟ ! فصل مع التعاون المتبادل والرقابة والحساب ؟ !

وهل كان الدين فى يوم من الأيام بمعزل عن السياسة وآثارها ؟ !

وفى أى بلاد الغرب المسيحى صاحب الفكرة متى كانت السياسة لا تؤثر ولا تتأثر بالعقيدة وأهدافها والدين وطوائفه ؟

وهل اكتملت وتبلورت ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة حتى يمكن اعتبارها مبدأ من المبادىء المستقرة الثابتة يرقى إلى مستوى النظرية العلمية المفهومة والمعلومة والمتفق عليها . . . ويمكن دراستها وتدريسها والتأثر بها والاستفادة منها وتصديرها والعمل بها ؟ !

وهل استقر الرأى فى أمر الفصل بين السلطتين الدينية والزمنية ، أيهما تقود وتصدر الأوامر وأيهما تقاد وتتلقى الأوامر ؟ !

أم أنهما سلطتان متعادلتان على قدم المساواة وهيهات هيهات لا يجتمع إثنان فى قرن ولا سيفان فى غمد واحد أبداً !

وهل أنصف الداعون للفصل بين الدين والسياسة من حيث عدالة التوزيع لمصادر الحماية والقوة والمنعة لكل من الطرفين بالتساوى ! . أم للسلطة الزمنية جيوشها وثكناتها وشرطتها وحراسها المكلفون والسلطة الدينية مناسكها وعواطف المريدين والمحبين ؟ ! فراحت كفة السياسة بنصيب الأسد وكان النذير بالقضاء على كفة الدين وإن طال الأجل ؟ !

وإلا فهل كان من طبيعة الأشياء فى تطورها أن يأتى يوم على العالم يصبح على الناس وإذا بالسياسة فى أحد البلدان استقل بها عصبة ملحدة تنكر الأديان

وتؤمن بنظام الحزب الواحد فتفرض فلسفتها ما بين يوم وليلة وتُصَدِّرُ العقيدة الدينية برمتها إلى المتاحف ؟!

فصول هذا المؤلف المختصر والمتواضع ليست إلا محاولة متواضعة تدور فى فلك هذه التساؤلات المتشعبة بحثاً فى أصل ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة وعلاقتها بالفرق والأحزاب السياسية قديماً وحديثاً .. ولأن الظاهرة من الأصل وليدة الفكر الأوربى المسيحى لظروفه الخاصة به وحده ... واليهوديه من وراء حجاب يد خفية يعنيها بالدرجة الأولى لظروفها الخاصة هى الأخرى أن يثبت المبدأ وتستقر الفكرة فى العالمين المسيحى والإسلامى على السواء لذلك كان لزاماً علينا البدء بدراسة الفرق والأحزاب اليهودية والمسيحية قديماً وحديثاً وهو ما خصصنا له الفصلين الأول والثانى بشىء من التفصيل المناسب والمطلوب فى مقامه من حيث وجهة النظر التاريخية والموضوعية مع كثرة المنقول نسبياً من مراجع التاريخ والكتب المقدسة حتى يسهل على القارىء إدراك الأبعاد الحقيقية المشكلة ومن مصادرها الأولية ؛ وخصصنا الفصل الثالث لفكرة الفصل بين الدين والسياسة بحثاً فى أسباب نشأتها وتدرجها وتطورها ومدى نصيبها الحقيقة والواقع وآثارها المباشرة وغير المباشرة وأهدافها الظاهرة ونواياها الخفية والمستترة ثم موقف الشريعة الإسلامية من مفهوم الفصل بين الدين والسياسة .

وهل يجوز القول أصلا ولا نقول العمل بقاعدة الفصل بين الدين والسياسة فى ظل شريعة الإسلام الكامل المتكامل ؟!

والرأى فى مثل هذه القضايا المعقدة والشائكة كـكل آراء البشر يجرى عليه الصواب كما يجرى عليه الخطأ .

والمعصوم رسول الله والمحمود هو الله أحمده سبحانه وتعالى إن أصبت وأسأله المغفرة إن أخطأت إنه نعم المولى ونعم النصير .

والله المستعان وبالله التوفيق وعلى الله قصد السبيل .

الفصل الأول

الفرق والأحزاب اليهودية

الفرق الدينية القديمة

(١) الصدوقيون

أصل الكلمة :

١ — ينسبهم البعض إلى صادوق الكاهن الأعظم فى عهد سليمان وكانت الكهانة من اختصاصهم فى عهد داود وسليمان .

٢ — البعض الآخر ينسبهم إلى كاهن آخر يحمل نفس الاسم وجد فى القرن الثالث قبل الميلاد هو صدوق زميل بيتوس والاثنان تلميذا انتيجنوس السوخى من كبار كهنة الهيكل الثانى المعروفين .

٣ — يعتقد جينيبر Guingebert أن الاسم المطلق على أصحاب الفرقة من أعدائهم ويستبعد نسبتهم إلى صدوق للأدلة التالية :

(أ) حرف الدال مضعف فى تسمية الفرقه وليس كذلك فى كلمة صدوق .

(ب) لم يعرف عن اتباع الفرقة أنهم ادعوا الانتساب إلى هذا الكاهن أو ذاك .

(حـ) لو صح انتسابهم إلى صدوق الكاهن لوردت التسمية « بنى صدوق » وليس الصدوقيين كما جاء فى آية حزقيال على سبيل المثال .

٤ — هناك رأى آخر يعتقد أصحابه بأن كلمة « صدوقيم » العبرية الدالة على الصدوقيين كانت فى الأصل « صديقيم » أى الصديقون بمعنى العادلون أو الأبرار وقلبت اليـاء إلى الواو تبسطاً وتواضعاً حتى يصبح معناها أهل العدل .

٥ — سماهم التلمود الأبيقوريين ولم يطلق عليهم اسم الصدوقيين لما عرف عنهم من الشك فى الحقائق وعدم الاعتقاد فى الروايات الشفوية والتحرر من القيود الدينية والأخلاقية .

اهم مبادئهم :

اولا فى السياسة :

١ — أقرب إلى الحزب السياسى منهم إلى الطائفة الدينية ويعتبرهم جينيبر الباحث الفرنسى حزب المحافظين من بين اليهود ويتفق معه فى ذلك الرأى أكثر الكتاب من اليهود ومن غير اليهود .

٢ — قلة عـــدد الأتباع إذ يعد حزبهم من أحزاب الصفوة بلغة العصر ولا يعتبر من الأحزاب الجماهيرية بل حزب الخاصة من المثقفين وأبناء الطبقة الارستقراطية .

٣ — محافظون بطبيعتهم و يميلون إلى الاستقرار السياسى ولا يؤمنون بأساليب العنف كالثورة والانقلاب .

٤ — يميلون إلى احترام الوضع القائم والقوانين السارية ويكفيهم من السلطة القائمة الاعتراف بيهوه وسلطان الهيكل والكهان وبامتيازاتهم الخاصة .

٥ — أكثر الفرق اليهودية تأثراً بالحضارتين اليونانية والرومانية ومنهم من آمن ببعض المذاهب الفلسفية اليونانية كمذهب أبيقور حتى سماهم التلمود الأبيقوريين والمذهب كما هو معروف يدين باللذة الحسية وينشد المتعة والترف .

٦ — يعاشرون الأجانب ولا يعتزلونهم كغيرهم من اليهود .

ثانيا : فى الدين :

١ — يعترفون بالعهد القديم فقط . ولا يأخذون بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام . وأسفار التلمود إنما ألفها فيما بعد فقهاء الفريسيين .

٢ — يقولون بأن العزير ابن الله وينكرون المسيح المنتظر .

٣ — لايؤمنون بالبعث ولاباليوم الآخر والثواب والعقاب يقع فى الحياة الدنيا وليس فى الآخرة .

٤ — لايؤمنون بوجود الملائكة والشياطين .

٥ — الإنسان فى نظرهم مخير وهو خالق أفعال نفسه فهم لايؤمنون بالقضاء والقـــدر .

٦ — أنكروا دعوة السيد المسيح وأعلنوا عداءهم له وكانت الحملة الموجهة ضده بزعامة اثنين من كبار كهنتهم هما « حنانيا » وقيافا » .

واعتقد البعض خطأ بأن عيسى عليه السلام كان على علاقة طيبة بهم ذلك لأنه هاجم الفريسيين وقبل سلطان قيصر الروم ولكن المسيح اختلف أيضاً مع الصدوقيين حول أمور كثيرة كالإيمان بالبعث والدار الآخرة والملائكة والشياطين فكانوا أكثر عداء له من الفريسيين .

(٢) الفريسيون أوالربانيون

أصل الكلمة :

الفريسيون لغةً : كلمة مأخوذة عن كلمة عبرانية أسمها « فروشيم » بمعنى المفروزون أو المتميزون .

وأطلق عليهم خصومهم هذا الاسم لاعتزالهم الجماعة الاولى .

أما هم فقد أطلقوا على أنفسهم نفس الاسم تيمنا بخطاب الله لبنى اسرائيل كما جاء فى الاصحاح العشرين من سفر اللاويين حيث يقول « وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى » .

وإن كان هناك رأى آخر يقول بأنهم يكرهون أن يطلق عليهم اسم الفريسيين حيث يسميهم خصومهم ويلقبون أنفسهم بألقاب أخرى منها : —

١ — حسيديم أى الأتقياء .

٢ — حبيريم أو الأحبار أى الرفاق أو الزملاء وهى أصل استعمال العرب لكلمة الأحبار أى علماء اليهود ومفردها « حبر » .

٣ — الأخوة فى الله أو الربانيون Godly ones

أصل نشأتهم :

يقال أن فرقة الفريسيين تكونت فى عهد يوناثان Jonathan الذى كان صديقاً مقرباً لداود عليه السلام .

أهم مبادئهم :

أولا : فى السياسة :

١ — أقرب إلى الحزب السياسى منهم إلى الفرقة الدينية بل يعتبرهم البعض حزبا سياسياً له بعض الاتجاهات الدينية إلا أنهم بلغة العصر الحزب الديموقراطى بين اليهود فهم أكثر عدداً من الصدوقيين ومبادئهم أكثر انتشارا بين سواد الشعب .

٢ — الحزب اليهودى المتعصب والمسئول عن « الدياسبورا » أى التشريد الرومانى لليهود والذى استمر إلى مابعد وعد بلفور والمسئول عن غرس بذور الصهيونية ورفض أية حكومة أجنبية غير يهودية ، والإيمان بأن دولة اليهود لابد أن تستعيد مكانتها .

٣ — كانوا يؤمنون بالثورة ، وكانوا دائماً وراء الثورات التى قام بها اليهود فى كل المنطقة بما فيها فلسطين طوال العهدين اليونانى والرومانى حتى انتهى الأمر بتشريدهم على يد تيتوس ثم هادريان .

وكانت أولى ثوراتهم على بدعة أجنبية إذ أمر الملك «أنطيوخس» كاهن الهيكل بالتضحية فى مذبحه بالخنازير فثاروا عليه وسقط منهم آلاف الضحايا بسبب هذه البدعة النجسة .

٤ — فسروا النصوص المقدسة تفسيراً صهيونياً يدعو إلى اعتزال الأجانب واحتقار الأمم والأجناس والأديان الأخرى.

٥ — الحزب اليهودى المتقلب إذ بعد ماعرف عنهم من فكر ثورى نشط وأغلبية شعبية، وفى عهد هركانوس (١٠٥ ق.م) وبعد ما اختلف معهم وانضم إلى منافسيهم الصدوقيين انقلب حالهم فأقبلوا على الشهوات والمتع وانفض عنهم أكثر أتباعهم وجاء وقت أصبح الانتساب إليهم يعد سبة وعاراً.

ويدافع عنهم بعض الباحثين اليهود فى العصر الحديث:

يقول هوكسلى: «من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها أن كلمة فريسى أصبحت تدل على العار» (١).

يقول هارفولد: «كانت الفريسية سيئة الحظ فى التاريخ، إذ قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها، بل قلما حاولت أن تنتهز هذه هذه الفرصة إذا سنحت، فهل بلغ الدين المسيحى مبلغاً من الضعف يلجئه إلى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه» (٢).

ويقول القس بوكس: «لقد أسس الفريسيون نظام الفردية فى الدين ووضعوا طقوساً روحية بحتة وتعمقوا فى الاعتقاد فى الآخرة ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف وجعلوا الكتاب المقدس ملكا مشاعا للجميع» (٣)

ثانيا: فى الدين:

١ — يعترفون بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية لموسى عليه السلام والتلمود، بل إن فقهاءهم الربانيين هم الذين وضعوا أسفار التلمود، ويرى كل من جينيبر والأب لاجرانج أنهم أكثر من الآخرين معرفة وعلما بشريعة الله فى نصوصها المقدسة ومأثوراتها.

(١، ٢، ٣) اليهودية «أحمد شلبى».

٢ — يؤمنون بالبعث والمسيح المنتظر .

٣ — يدعون إلى جواز إقامة الشعائر فى البيوت وعدم حصرها فى المحاريب رغبة منهم فى القضاء على استبداد الهيكل والكهان .

٤ — يأخذون بالتصرف والقياس وتحكيم العقل فى النصوص الجامدة والتقاليد المتوارثة بعكس الصدوقيين الذين يلتزمون بالنص ومثال ذلك يفضل الفريسيون الدية والمسامحة على القصاص بينما يصر الصدوقيون على الالتزام بشريعة العين بالعين والسن بالسن ولا يقبلون الدية .

٥ — يميلون إلى الروحانية والتأمل بينما الصدوقيون أقرب إلى المادية والقواعد العملية لذلك يؤمن الفريسيون بالبعث وينكره الصدوقيون .

ويرى بعض المؤرخين أن معلمى السيد المسيح فى حياته كانوا من الفريسيين . وجاء عصر الميلاد وقد انقسموا إلى فريقين :

١ — فريق هلل :

وهم اتباع الحكيم هلل الذى قدم إلى فلسطين من بابل . وهم أكثر تسامحاً فى معاملتهم للاجانب وأكثر زهداً ولحكيمهم هلل قوانه المشهورة « إن الزيادة فى اللحم زيادة فى الدود (١) » .

٢ — فريق شماى :

وهم أتباع الحكيم شماى الذى كان يحترف التجارة ويقدس القديم ولا يعمل بالتجديد والتصرف فى تأويل النصوص .

وهم أكثر تزمتاً ولا يرحبون بانتساب أجنبى من غير اليهود لدينهم . هذا ويشبههم البعض بفريق المعتزلة عند المسلمين .

---

(١) عبقرية المسيح . عباس محمود العقاد .

(٣) الآسين أو الاسينيين :

أصل الكلمة :

الاسم مختلف عليه والأرجح أنه مشتق من كلمة « آسى » بمعنى الطبيب أو النطاسي في اللغة الآرامية أقرب اللغات السامية للعربية والكلمة تحمل نفس المعنى في العربية . ويرجع ذلك القول أنهم كانوا يمارسون طب الروح ويحاولون شفاء المرضى بالصلوات والأوراد ويدعون المعرفة بالعقاقير .

أصل نشأتهم :

نشأت الطائفة في القرن الثاني قبل الميلاد وأخذت الكثير عن مدارس الاسكندرية وخاصة أسلوبها التنظيمي وعباداتها السرية . كما تأثر أتباع الطائفة بمدرسة فيثاغورث التي تحرم ذبح الحيوان وتدعو للتقشف .

وأهم من أرخ للطائفة فيلون اليهودي الذي ولد عام ٢٠ ق . م وهو فيلسوف يوناني من أصل يهودي ومؤرخ يهودي آخر يدعى يوسيفيس .

وعدد الطائفة كما قدره المؤرخان لايزيد على أربعة آلاف شخص . كانوا يعيشون في جنوب فلسطين وهم لا يهتمون بالكم ولكن بالكيف وقوتهم تعتمد على أسلوبهم التنظيمي وفكرهم العقائدي .

وهم أقرب إلى الحزب السياسي منهم إلى الطائفة الدينية ولديهم الكثير من الآراء الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية .

وينفردون بين جميع الطوائف بأسلوبهم التنظيمي الخاص . وهم بلغة العصر أقرب إلى الأحزاب العقائدية الشيوعية والفاشية مع الفارق في الأفكار والعقائد .

واهم مبادئهم :

أولا : فى السياسة :

١ — تنظيم خاص له شروطه المحدده لاكتساب العضوية وللطائفة ثلاث مراحل : —

الاولى مرحلة التلمذة : ويقبل فيها الصبيان فيما دون الحلم .

الثانية مرحلة المقسمين : الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة فى الرياضة والاطلاع على الأسرار والتدرب على العبادة بأداء شعائر متواترة منها الاغتسال وتلاوة بعض العهود وبعد ذلك يمكن نقل المريد إلى المرحلة الثالثة .

الثالثة مرحلة الواصلين : ويقضى فيها الفرد سنتين يلبس بعدها شعار الطائفة .

وشعار الطائفة : ثوب أزرق وزنار ويحمل الفأس فى يده كناية عن العمل الشاق .

ويقسم العضو يمين الولاء والمحافظة على سر الجماعة مرة واحدة يحرم عليه بعدها القسم بالحق أو بالباطل مدى الحياة .

ويجوز فصل العضو إذا حنث فى يمينه وشهد على إدانته مائة عضو كما يجوز الحكم بالإعدام على العضو إذا بلغت مخالفته حد الخيانة وإنكار قواعد الإيمـــان .

٢ — ينكرون التفرقة العنصرية ويطالبون بالمساواة بين جميع الناس فى القيم الإنسانية المشتركة .

٣ — ينشدون التعايش السلمى بين جميع الشعوب ويكرهون الحروب .

٤ — لا توجد فى تنظيمهم سيادة أو رئاسة .

ثانيا : فى الاقتصاد :

١ — يحرمون الملكية الفردية :

جميع ماتحت أيديهم من أرض ومنازل وملابس وأطعمة ومتاع يملكونه جميعاً ملكية جماعية مشاعة . من حق كل فرد أن ينال ما يكفيه ويحفظ مايزيد عن الحاجة فى مخازن عامة يشرف عليها حراس من الطائفة يتم اختيارهم بالإنتخاب العام المباشر ويتفرغون لهذا العمل . ولكل عضو فى الجماعة من أهل القرية أو من خارجها أن يستخدم المنازل فهى تترك مفتوحة الأبواب مشاعاً للجميع . ويحرم على العضو أن يملك كوبين أو زوجين من النعال كما يحرم عليه ادخار الأمتعة أو الأقـــوات .

وتعتبر هذه الفرقة اقتصادياً من أقدم المذاهب الشيوعية فى العالم . واتباعها من أقدم المجتمعات الإنسانية التى أخذت بالمبدأ الشيوعى قولا وعملا إذ قاموا فعلا باعتزال المجتمع الاسرائيلى وعاشوا حول شاطىء البحر الميت معيشة مطابقة لما تمليه عليهم مبادئهم .

٢ — يحرمون الاشتغال بالتجارة .

٣ — يحرمون استخدام الذهب والفضة .

٤ — يعيشون على الزراعة والصيد وما يرتبط بهما من صناعات .

ثالثا : فى الدين :

١ — يؤمنون بالبعث والقيامة والمسيح المخلص .

٢ — يحرمون الأضحية والقرابين مع أنها من أهم العبادات عند الفرق الأخــــرى .

٣ — تغلب عليهم الرهبانية فيحرمون الزواج ويشجعون التبتل والبعد عن النساء .

٤ — تكثر فى عباداتهم مناسبات الغسل والوضوء ويتطهرون من الحدث ويصلون عند الفجر وراحتهم يوم السبت وفيهم من يحرم على نفسه فى ذلك اليوم إزالة الضرورات .

٥ — يستقلون بشعائرهم وآرائهم وأسرارهم حتى أوشكت الطائفة أن تستقل عن « الهيكل » كله فى علاقتها بالدين والقومية .

٦ — رائدهم النبى عاموس الذى يقول بأن التقرب إلى الله بالعدل والرحمة خير من التقرب إليه بالذبائح والقرابين .

رابعا : فى الاجتماع :

١ — يحرمون نظام الرق .

٢ — يعتزلون المدن الآهلة بالسكان والأحياء المزدحمة ويتآخون فى رحلاتهم اثنين اثنين .

٣ — المادة عندهم مصدر الشر ويكرهون الترف والحياة الناعمة ويكثرون من العبادة والرياضة ويغلب عليهم الصمت والندم .

٤ — مراعاة الوفاء بالعهد والصدق والأمانة مع جميع الناس اسرائيليين وغير اسرائيليين .

٥ — يكرهون ايذاء أى إنسان ولو كان لمصلحته وفى سبيل تربيته .

والحقيقة أنه لا يربط الفرقة بسائر فرق اليهود إلا رابطة الجنس فأفرادها كانوا من بنى اسرائيل .

ولم تعمر الطائفة أكثر من قرنين أو ثلاثة فقد انقرضوا فى أواخر القرن الأول الميلادى .

ويعتقد البعض أن يوحنا المعمدان « سيدنا يحيى بن زكريا » عليهما السلام كان من اتباع هذه الفرقة .

(٤) الغلاة أو الجليليون أو القنائيون :

اصل الكلمة :

كلمة « قناء » فى العبرية تعنى الغيور أو صاحب الحمية وهى الكلمة التى وصف الله بها نفسه فى الوصايا العشر عند النهى عن اتخاذ آلهة أخرى . وكان استعمالها فى العبرية قديماً مرتبطاً بمعنى الجهاد والموت فى سبيل الله .

ذلك وقد أطلق عليهم أعداؤهم اسم « سيقارين » أو « سيقاريين » وهى كلمة يهودية من كلمات التلمود بمعنى « الارهابيين » أو « السفاحين » أو قطاع الطرق أو « السفاكين » .

كما أطلق عليهم فى بعض الوثائق اسم « بريوناى » بمعنى الخارجين على القانون أو المتمردين .

اصل نشاتهم :

يقول البعض بأنهم فرقة متعصبة من فرق الآسين وأتباع يهودا الجليلى .

ويقول البعض الآخر ومنهم الدكتور حسن ظاظا بل فرقة من الفريزيين .

ويقول شارل جينيبر الباحث الفرنسى نقلا عن يوسيفوس المؤرخ اليهودى إن ظهورهم بصورة مستقلة ومتعصبة إنما يرجع إلى السنة السادسة أو السابعة من ميلاد المسيح وما وقع فيها من أحداث انتهت بعزل أرخيلاوس بن هيرودس عن إمارة اليهود وصدور مرسوم رومانى باعتبار فلسطين ولاية رومانية وليست ذات كيان مستقل .

وتجمع الروايات على أن نشأتهم كحزب مستقل إنما ترجع إلى فترة ميلاد المسيح وكرد فعل مباشر لأمر السلطات الرومانية بعمل تعداد إحصائى لليهود

الأمر الذى يصبح اليهود بناء عليه عبيداً معدودين من رعايا قيصر . فقامت الثورة بحجة أن طاعة القيصر من عبادة الأوثان وإحصاء الشعب لاعتباره من رعاياه خروج على الدين .

وكان على رأس من أشعلوا الثورة أحد القنائين ويدعى «يهوذا دى جملا» ويعرف بيهوذا الجليلى نسبة إلى مقاطعة الجليل بشمال فلسطين . وكان له شريك سرى من الفريزيين يدعى «صدوق» وذلك ما جعل البعض يعتبرهم فرقة من الفريزيين . ونجحا فى استمالة بعض الأفراد وتكوين عدد محدود من العصابات إلا أن السلطات الرومانية نجحت هى الأخرى فى القضاء عليهم جميعاً وعلى رأسهم يهوذا وصدوق وكرد فعل عنيف أصبحت حركة القنائين بعد ذلك حركة سرية متطرفة تؤمن بالاغتيال والعنف وأكثر ضحاياها كانوا من رعايا اليهود المتعاونين مع السلطة الرومانية وخصوصاً من الفريزين .

أما القنائين بمعنى الغيورين المجاهدين فى سبيل الله فيقول البعض بأنهم أقدم من ذلك بكثير ولهم فى كل وقت فريق منذ عرفت الفرق اليهودية وأشهر القنائن القدماء الذين أخذتهم الحمية غيرة لله فى عهد موسى عليه السلام فنحاس بن العازار ابن هرون .

اهم مبادئهم :

أولا : فى السياسة :

١ - حزب سياسى متعصب أكثر نشاطه يعتمد على السرية والعنف وبلغة العصر يمكن اعتبارهم اليسار المتطرف من بين فرق اليهود .

ومما يروى عنهم لما وضع الملك هيرود تمثال النسر القيصرى فوق هيكل بيت المقدس قيام اثنين من الغلاة القنائين بانتزاعه وتهديد كل من يشرع فى إعادته بالموت .

ومن أسلوبهم التنظيمى السرى أن الواحد من القنائين كان يمر بجوار الهدف

بسرعة البرق وخنجره فى يده ويقتل الشخص المتفق عليه علنا فى الطريق وبطعنة واحدة ثم يختفى فى الحال . فتنظيمهم تنظيم صهيونى سياسى وعسكرى يؤمن بالعنف والاغتيالات

٢ — تمسكهم الشديد بفكرة الوطن اليهودى المستقل والحر ويفضلون الخروج على القانون والموت فى سبيل الوطن على أن يبايعوا حاكما أجنبيا .

٣ — لا يعترفون فى تنظيمهم برئيس أو سيد فالسيد هو الله .

ثانياً : فى الدين :

١ — مبادئهم فى الدين تكاد لا تختلف عن مبادىء الفريزيين كالاعتقاد بالمسيح المنتظر والميل للعبادة مما جعل البعض يعتبرهم فرقة من الفريزيين .

٢ — عدم التسامح والعنف فى معاملة الاجانب .

هذا وقد تزعمهم مناحم بن يهوذا الجليلى وقاد حركتهم بعد أبيه وظل يثير القلاقل وينشر التمرد فى جميع أرجاء فلسطين وزاد نشاطه فى عام ٦٦ ميلادية مما دفع الرومان إلى التدخل لحسم الموقف ونزل تيتوس القائد الرومانى بجيوشه فى سنة ٧٠ ميلادية للقضاء على اليهود وانتهى أمر القنائين فعلا مع غيرهم من فرق اليهود المعروفة فى ذلك التاريخ باستثناء الربانيين حيث ظهروا بعد ذلك .

وإذا كان التاريخ يعيد نفسه فإن جماعة القنائين الغلاة والتى انتهت كتنظيم فى النصف الثانى من القرن الميلادى الأول أمام حملة تيتوس مازالت توحى للفكر الصهيونى الحديث بأساليبها المنهجية ووسائلها الهمجية العنيفة .

ويرى البعض أن من أحفادهم وورثة فكرهم التنظيمى قتلة برنادوت وجون كنيدى .

(٥) السامريون :

اصل الكلمة :

السامريون نسبة إلى إقليم السامرة أحد أقاليم فلسطين فى الشمال حيث ظهرت الجماعة وتركز نشاطها .

اصل نشاتهم :

خليط من اليهود والاشوريين فأغلب السامريين قبائل أشورية أرسلها ملوك بابل إلى فلسطين ليسكنوها محل اليهود الذين تم سبيهم إلى بابل واختلط الاشوريون الوافدون بمن بقى من اليهود بغير سبى واعتنقوا الديانة اليهودية ولذلك كانت غالبية السامريين من غير بنى إسرائيل وكان الاسرائيليون يعاملون أفراد الطائفة على أنهم أحط قدراً ومنزلة ولما عاد اليهود من السبى بعد سقوط بابل أنكروا على السامريين شعائرهم المناقضة للتقاليد اليهودية واتهموهم بالوثنية .

وأقام السامريون هيكلا خاصاً بهم فى « جرزيم » وراحوا ينافسون به هيكل بيت المقدس على مدى مائتى سنة حتى قام حنا هيركانوس رئيس كهان بيت المقدس بهدم هيكل السامريين قبل الميلاد بأكثر من مائة سنه وأعاد السامريون بناءه مرة ثانية ثم هدمه الرومان بعد ذلك إبان ثورة السامريين فى القرن الخامس للميلاد وهدم فسباسيان مدينتهم وأقام مكانها مدينة « نيوبوليس » المعروفة اليوم باسم « نابلس » .

اهم مبادئهم :

طائفة دينية أكثر منهم كحزب سياسى وأهم ما يعتنقون من مبادىء :

أولا : فى الدين :

١ — يؤمنون فقط بالأسفار الخمسة التى تمثل القسم الأول من « العهد القديم » وسفر يوشع وسفر القضاة وينكرون بقية أسفار العهد القديم وأسفار التلمود .

ونصوص الأسفار المعتمدة لديهم تختلف فى كثير عن النصوص المشهورة لنفس الأسفار عند غيرهم .

٢ — لايؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر مثل الصدوقيين .

٣ — ينكرون كل نبوة فى بنى إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام فهم ينكرون نبوة شمعون وداود وسليمان وأشعيا واليسع وإلياس وعاموص وحبقوق وزكريا وأرميا وغيرهم .

٤ — كانوا يعلنون عداءهم لداود وذريته ويشعلون فتن النزاع القديم بين الأسباط وينسبون أنفسهم إلى يعقوب فى نفس الوقت ويدعون أنهم وحدهم الجديرون باسم « الاسرائيليين » .

ثانياً : فى السياسة :

١ — يؤمنون بالاقامة فى الشام ولا يستحلون الخروج عنها .

٢ — لايعظمون بيت المقدس ولايعرفون له حرمه ولايعترفون بعاصمة مقدسة غير موطن هيكلهم المهدوم « جرزيم » ويقولون بأن مدينة القدس هى نابلس وهى من بيت المقدس على بعد ثمانية عشر ميلا .

٣ — ورث السامريون مملكة إسرائيل القديمة فى الشمال وكانوا فى نزاع مستمر مع مملكة يهوذا فى الجنوب فهم ينكرون فكرة الخلاص على يدى ملك منتظر من ذرية داود مقره بيت المقدس .

(٦) القراءون أو العنانيون :

أصل الكلمة :

القراءون نسبة إلى « مقرا » بمعنى الكتاب أو المكتوب وهى الكلمة التى كان اليهود يطلقونها على أسفار العهد القديم . فالقراءون هم المتمسكون بالكتاب وحده أى بأسفار العهد القديم وحدها . والعهد القديم تعنى

كتب اليهود فى العصور المسيحية للتمييز بينها وبين ما اعتمد المسيحيون من أسفار خاصة بهم أطلقوا عليها اسم العهد الجديد .

والعنانيون نسبة إلى منشىء الفرقة عنان بن داود .

اصل نشاتهم :

أحدث الفرق اليهودية جميعاً . أنشأها أحد علماء اليهود فى بغداد واسمه عنان ابن داود وكان ذلك فى أواخر القرن الثامن بعد الميلاد فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور أى بعد ظهور الديانة اليهودية بحوالى عشرين قرناً من الزمان .

هذا وقد مهد لظهورهم قيام بعض الحركات الاصلاحية التجديدية والتى لم يكتب لها النجاح وأهمها :

١ — حركة سيرينوس :

يهودى سورى قام بحركته فى عام ٧٢٠ ميلادية على وجه التقريب وكان شعاره « اتركوا تعاليم التلمود » وغره إزدياد اتباعه فأعلن أنه المسيح المنتظر وانتهى أمره بالقبض عليه وتقديمه إلى الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ — ٧٢٤ م) الذى سلمه لليهود ليحاكموه بأنفسهم .

٢ — حركة عوبديا بن عيسى :

يهودى من أصفهان قام بحركته فى عام ٧٥٠ ميلادية وأهم مبادىء الحركة :

* عدم الاعتراف بالتلمود .
* الاعتراف بنبوة عيسى ومحمد .
* إدخال تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية كالغاء الطلاق وجعل فرائض الصلاة أربعة بدلا من ثلاثة فى اليوم .

وقد لجأ عوبديا وأتباعه لفرض آرائهم باستخدام القوة بين طوائف اليهود مما عجل بنهاية أمرهم .

اهم مبادئهم :

حركة دينية تشبه فى نظر البعض الحركة البروتستنتية عند المسيحيين والحركة السلفيه عند المسلمين . وأهم مايعتنقون من مبادىء :

١ — الاعتراف بالعهد القديم وحده وانكار الروايات الشفوية وأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات .

٢ — فتح باب الاجتهاد . إذ بينما ألغى عنان التشريعات التى قررها الربانيون اعتماداً على أسفار التلمود قام ببعض المحاولات فى مجال الاجتهاد الخاص به ومن ذلك :

تحريم زواج العم من ابنة أخيه وزواج الخال من ابنة أخته ومن اجتهاداتهم المخالفة لنصوص صريحة فى التوراة القول بعدم أحقية الزوج فى تركة امرأته .

وكثرت المذاهب الفرعية لطائفة القرائين بسبب فتح باب الاجتهاد والسماح لكل قادر بتفسير النصوص المقدسة حسب اجتهاده الخاص فى حدود الأصول العامة .

وأشهر هذه الطوائف الفرعية :

١ — طائفة بنيامين بن موسى :

وهو فارسى من نهاوند ظهر بتعاليمه فى أوائل القرن التاسع الميلادى وتكاد تكون جميعاً مستمدة من تعاليم عنان . بالاضافة إلى تأثره بالمعتزلة وبالفارابى وابن سينا من فلاسفة الاسلام .

ومن اجتهاداته الخاصة حول عملية الخلق قوله بأن الله قد خلق الملائكة وهى الكائنات الروحية غير المادية وتولت الملائكة بعد ذلك خلق العالم المادى وأنكر بذلك عملية الخلق بصورة مباشرة .

٢ — طائفة الأكبرية :

أنشأها عالمان يهوديان هما موسى واسماعيل الأكبريان نسبة إلى مدينة أكبر بالقرب من مدينة بغداد وكان ذلك فى حوالى عام ٨٤٠ ميلادية ويعتبرها البعض إحياء لطائفة السامرية ومن مبادئهم الخاصة بهم اعترافهم بأسفار موسى الخمسة فقط وهى التكوين والخروج والتثنية واللاويين والعـــدد وانكارهم لبقية أسفار العهد القديم .

● هذا ومن الطوائف اليهودية الباقية إلى العهد الحاضر القراءون والربانيون وكثيراً ما أعلنت كل منهما الحرب على الأخرى وتحكم كل منهما بالكفر على الأخرى وتستقل كل منهما بمعابد خاصة لا يسمح بدخولها لغير أتباعها .

وأشهر ما وقع بينهما من خصومات كان فى مصر وفى عهد الملك الفاطمى الظاهر بن الحاكم بأمر الله (١٠٢٠ — ١٠٣٥ ميلادية) فللقرائين تقاليد خاصة بهم فى شئون الذبح فهم يحرمون ذبح أنثى الحيوان أثناء حملها كما يحرمون أكل أجزاء خاصة من الحيوان بينما الربانيون على خلاف ذلك ، وفى ذلك الوقت كان المشرف على مصالح اليهود من الربانيين فوقع الصدام وطالب القراءون بحوانيت خاصة بهم وتخضع لتفتيشهم ولا سلطان لمحتسب الربانيين عليها . كما طالبوا بالسماح لهم فى فتح حوانيتهم فى أعياد الربانيين إذ لكل طائفة تقويمها الخاص وتختلف كل منهما عن الأخرى فى مواقيت الأعياد . واستجاب الخليفة الظاهر لمطالب القرائين .

(٧) الكتبه أو فقهاء الدين :

الكتبه أو النساخ ويطلق عليهم البعض أحياناً الحكماء أو السادة Rabbis وينادى على الواحد منهم عند المخاطبة بلقب أب .

وهم مجموعة من اليهود مهمتهم الأساسية كتابة الشريعة لمن يطلبها وبجوار ذلك اتخذوا الوعظ وظيفة لهم .

وكانوا من الفريسيين فهم يعترفون بالأسفار الحديثـــة ويرجعون إليها فى عباداتهم ومعاملاتهم بعكس الصدوقيين الذين يؤمنون فقط بالكتب الموسوية

الخمسة ولذلك لايعترف الصدوقيون بجماعة الكتبة أو الفقهاء .

برز دور الكتبة كحملة للواء الشريعة حينما خلا الميدان إلا منهم بعد ما جذبت السياسة غيرهم من رجال الدين الذين انساقوا فى ركب الفاتحين الأجانب فعملوا فى بطانة الحكام من فرس وإغريق ورومان .

تشعبت جماعة الكتبة وأصبح من طابعها أن يعمل كل واحـــد من أفرادها اللامعين على إنشاء مدرسة خاصة به يرعاها ويشرف عليهـــا ويصبح له رواده وتلاميذه .

(٨) النذريون أو المنذورون :

النذريون آحاد متفرقون يهجر الواحد منهم العالم ويعتزل الناس وينذر نفسه أو ينذره أهله لخدمة الدين والله والتبشير باليوم الموعود ، ولم تكن لهم طائفة مستقلة فهم ينتمون إلى كل مذهب.

وهم فتيان يبشرون بالمسيح الموعود ويحملون لواء الدعوة إليه ولا يجوز للواحد منهم أن يشرب الخمر أو يدنس جسده بملامسة الموتى أو الأجسام المحرمة ويرسل المنذور شعره ولا يحلقه قبل وفاء نذره إن كان النذر لأجل محدد .

وقد تكاثر عددهم قبيل مولد السيد المسيح لأنه وافق نهاية الألف الرابعة من الخليقة حسب تقويمهم العبرى . وكانوا ينتظرون المسيح الموعود على رأس كل ألف سنة.

ومن أعلامهم المعروفين يوحنا المعمدان أو النبي يحي المغتسل وقد اعتمد على يديه السيد المسيح وأخذ العهد عليه .

الحركات والأحزاب السياسية الحديثة

الحركات اليهودية الحديثة كثيرة ومتعددة الأهداف والأنشطة كأندية الروتارى والبنائية والبهائية إلا أن أهمها من وجهة النظر الدينية والسياسية فى نفس الوقت هى الماسونية والصهيونية .

(١) الحركة الماسونية :

الماسونية حركة يهودية سرية ذات نشاط سياسى ودينى فى نفس الوقت ولها ظاهر وباطن وتعريفها الظاهر والذى ينخدع به عامة الناس هو كما يقول مكاريوس شاهين :

« جمعية أدبية تخـــدم الانسانية وتنور الاذهان . وتنشر الإخاء وتوطد الحب بين الأعضاء . تحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين »

أما حقيقة أمرها وتعريف باطنها كما يحدده الحاخام الدكتور اسحق وايز فهو أن الماسونية : « مؤسسة يهودية وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروحها إلا أفكاراً يهودية من البداية إلى النهاية » .

وقد جاء فى البروتوكول الحادى عشر من بروتوكولات حكماء صهيون :

« ماهو السبب الذى دفعنا أن نبتدع سياستنا ؟ ونثبت أقدامها عند غير اليهود ؟ لقد رسخناها فى أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن به من معنى . فما هو الذى دفعنا أن نسلك هذا المسلك . اللهم إلا أننا جنس مشتت وليس فى وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة فحسب ، هذا هو السبب الحقيقى لتنظيمنا الماسونى الذى لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فى معناه ولا حتى الشك فى أهدافه ، وإننا لنسوقهم إلى محافلنا التى لا عداد لها ولا حصر ، تلك المحافل التى تبدو ماسونية فحسب ذرا للرماد فى عيون رفاقهم » (١) .

---

(١) اليهود بين الدين والتاريخ د صابر عبد الرحمن طعيمه .

واختلف المؤرخون حول أصل نشأة الحركة الماسونية فمنهم من ردها إلى عهد الفراعنة ومنهم من ردها إلى عصر الحروب الصليبية وهناك من يربط بينها وبين جمعية الصليب الوردى فى عام ١٦١٦ ميلادية ومنهم من يقول بأن الماسونية امتداد لجمعية البنائين الأحرار وهم العارفون القدامى بأسرار بناء الأهرام والهيا كل والمقابر إلا أن المتفق عليه أن قمة النشاط الماسونى فى العصر الحديث إنما ترجع إلى اجتماع سرى عقد حول قبر القديس اليهودى سيمون بن يهودا فى عام ١٨٦٩ ميلادية فى مدينة براغ .

وسيمون هو رائد يهود العصر الحديث وباعث حركتهم الحديثة وتنظيمهم السرى المعروف باسم « الحكومة العالمية » ذات الأهداف السياسية والدينية الخطيرة. ومما يردده اليهود فى هذا الشأن قولهم :

« لقد وكل آباؤنا من قادة يهوذا أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن حول قبر أستاذنا الأعظم الربانى المقدس سيمون بن يهوذا الذى تعطى تعاليمه للصفوة الممتازة من كل جيل سيطرة على جميع العالم وسلطة على شعب يهوذا » .

والعضو فى الحركة الماسونية يصبح عضواً بمجرد أدائه للقسم المتعارف عليـــه ونصه :

« أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحروف وألا أكتب شيئاً منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير وأرضى إن حنثت فى قسمى — أن تحرق شفتاى بحديد ملتهب وأن تقطع يداى ويحز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليراها طالب آخر ليتعظ بها ثم تحرق جثتى ويذر رمادها فى الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتى »(١) .

وإن دل هذا القسم على شىء فإنما يدل دلالة قاطعة على أنها ليست كما يوحى

---

(١) اليهودية د . أحمد شلبى .

ظاهر الامر جمعية أدبية تخدم الإنسانية وإنما لها باطنها السرى والخفى الذى ينطوى على مخطط سياسى دينى عالمى له أهدافه الخطيرة والمبيته .

ومراتب التدرج فى الحركة الماسونية ثلاثة :

١ — الماسونية الإبتدائية أو الرمزية : وفى داخل هذه المرتبة توجد ثلاث وثلاثون درجه يترقى فيها الأعضاء حسب كفاءتهم وتدور حول طقوس وحركات غير مفهومة أكثرها عبارات براقة وشعارات رنانة عن الحرية والإخاء والمساواة . والعضوية فى هذه المرتبة من حق أتباع الديانات المختلفة .

٢ — الماسونية المتوسطة أو الملوكية : وأكثر أعضائها من اليهود ولا يحق لغير اليهود الترقى إليها إلا إذا أصبحت الماسونية مثله الأعلى وكفر بوطنه ودينه وجنسه .

٣ — الماسونية الكونية : أرقى المراتب وأعضاؤها من اليهود الخلص وتضم الصفوة أو النخبة الممتازة ويطلق عليهم الحكماء ورئيسهم يلقب بالحكم الأعظم وهو مصدر السلطات لجميع المحافل الماسونية .

وأهم أهداف ومبادىء الحركة الماسونية :

١ — حماية الحركة اليهودية العالمية .

٢ — محاربة جميع الأديان والكاثوليكية بصورة خاصة .

٣ — بث روح الإلحاد والانحلال فى العالم .

وتقول دائرة المعارف اليهودية طبعة عام ١٩٠٣ الجزء الخامس من صفحة ٥٠٣

« ... إن تعاليم الماسونية محوطة بالسرية الدائمة وهى تنص فى صلبها على تقديس الجنس والحرية التامة لنشر الإباحية وآمال الماسونيين أمام هذا الجانب الأخلاقى من حياة الناس هو تنظيم جماعة من الناس يرونهم أحرارا لايخجلون

من أعضائهم التناسلية حين يجتمعون فى نوادى العراة ويلتقون على شواطى المصايف »(١)

ويقول الدكتور أحمد شلبى :

« وقد أدرك زعماء المسيحيين خطر الماسونية بوجه خاص وخطر الجمعيات السرية بوجه عام على الدين المسيحى فصدر مرسوم بابوى رقم ٨٦٤ يحذر الكاثوليك من الاشتراك فى الهيئات السرية والمشتبه فيها على الإطلاق . ومن العجيب أن هذه الماسونية ظلت سراً على البلدان العربية حتى بعد قيام إسرائيل ولم يصدر قرار بإلغاء المحافل الماسونية فى مصر إلا فى أبريل سنة ١٩٦٤ بعد تحريم البابا لها بأكثر من عشر سنوات ولا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها فى بعض البلدان العربية » .

(٢) الحركة الصهيونية :

الصهيونية لفظاً تنسب إلى صهيون جبل يحيط بالقدس أقام عليه داود حصناً كما ورد بالتوراة والصهيونية الحديثة حركة سياسية علمانية مغلفة بإطار دينى يهدف برنامجها العام إلى إقامة وطن فى فلسطين للشعب اليهودى يضمنه القانون الدولى العام .

نشأة الصهيونية الحديثة :

— يرجعها غلاة المؤرخين إلى عام ١٦٦٦ م . حيث قام « شبتاى تسيفى » بمحاولة إعادة اليهود إلى فلسطين لولا يقظة الأتراك وتصديهم لهذه المحاولة .

— ويرجعها بعض المؤرخين إلى الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت الذى أصدر منشوراً فى عام ١٧٩٨ م يدعو اليهود إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين ومنشوراً ثانياً فى عام ١٧٩٩م يدعو يهود أفريقيا وآسيا للتضامن معه من أجل إعادة بناء القدس القديمة .

---

(١) اليهود بين الدين والتاريخ د . صابر عبد الرحمن طعيمه .

— ويرجعها البعض الآخر إلى « موسى مونتفيرى » اليهودى الإنجليزى الذى أطلقوا عليه لقب الصهيونى الأول إذ قام فى عام ١٨٣٨ م بمحاولة شراء مساحة من أرض فلسطين بهدف هجرة اليهود إليها . وهو الذى شيد أول حى يهودى خارج أسوار القدس وأنشأ مستعمرة صغيرة من البرتقال فى يافا .

— وفى عام ١٨٧٠ ميلادية تأسست جمعيات « شيبات زيوم » أى عشاق صهيون وانتشرت فى كل أوربا تنشر الفكرة الصهيونية وتدعو يهود العالم وتشجعهم على الهجرة إلى فلسطين .

ومهما اختلف المؤرخون حول نشأة الفكرة الصهيونية فإن المتفق عليه بين الجميع أن باعث هذه الحركة فى العصر الحديث هو « تيودور هرتزل » القاضى والكاتب والصحفى النمسوى البورجوازى الذى بدأ إندماجيا ثم غير رأيه بعد قضية دريفوس الشهيرة ودريفوس ضابط يهودى اتهم بإفشاء أسرار عسكرية فرنسية للألمان وحوكم وأدين ونفى إلى جزيرة الشيطان بأمريكا الجنوبية وثبتت براءته فكان ظهور اللاسامية فى فرنسا صدمة لهرتزل جعلته يدعو اليهود إلى إقامة دولة تجمع شملهم وتحميهم من اضطهاد العالم لهم . واقترح تأسيس جمعيتين :

١ — جمعية اليهود : مهمتها الإعداد والتحضير العلمى والسياسى للفكرة .

٢ — الشركة اليهودية : مهمتها التنفيذ العملى بتمويل المشاريع التهجيرية والاستيطانية .

وفى ذلك يقول هرتزل :

« وللنهوض بهذه المهمة البسيطة نظرياً والمعقدة عملياً تحدث هيئتان :

جمعية اليهود Jewish Society والشركة اليهودية J. Company

وما تعده الأولى علمياً وسياسياً تنفذه الشركة اليهودية عملياً كما تتولى تصفية المصالح المادية لليهود المهاجرين وتنظم العلاقات الاقتصادية فى البلد الجديد(١)»

---

(١) النظام السياسى الإسرائيلى د . كمال الغالى .

وهرتزل مكيافيللى الطبع علمانى النزعة لم يحدد لدولته المزعومة بقعة معينة من الأرض وكان يقول فى بادىء الأمر :

« ليمنح السيادة على رقعة من الأرض تتناسب مع حاجاتنا المشروعة كشعب وسنتكفل نحن بالباقى(١) .

ثم يقول :

« وإذا أبدت الدول استعدادها لمنح الشعب اليهودى السيادة على إقليم محايد فإن جمعية اليهود ستتداول فيما يتعلق بالبلد الذى ستحصل عليه : إقليمان يؤخذان بعين الاعتبار : فلسطين والأرجنتين »(٢)

ثم يرجع الإطار الدينى الذى يغلف حركته العلمانية الأصل فيساوم السلطان على فلسطين قائلا :

« لو أن جلالة السلطان يعطينا فلسطين لكان بإمكاننا تماماً أن ننظم مالية تركيا . وفيما يتعلق بأوربا فإننا سنكون هناك حاجزاً ضد آسيا فنكون الديدبان المتقدم للمدنية ضد البربرية . وسنبقى كدولة محايدة على علاقاتنا الثابتة مع أوربا كلها التى يجب عليها أن تضمن وجودنا »(٣) .

وينجح هرتزل فى عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ فى بال بسويسرا ذلك المؤتمر الذى وضع برنامج الحركة الصهيونية الحديثة وافتتحه هرتزل بكلمته الشهيرة :

« إننا هنا لوضع أسس البناء الذى سيظلل اليهود » .

وخرج هرتزل من المؤتمر يصرح بنجاحه ويقول :

---

(١) النظام السياسى الإسرائيلى . د . كمال الغالى .
(٢) » » » » »
(٣) » » » » »

« لو أنني أردت أن ألخص أعمال هذا المؤتمر فى كلمة . . وكنت حريصاً على ألا تنشر هذه الكلمة . . فإنها ستكون كما يلى . . فى بال أسست الدولة اليهودية . . وقد يثير هذا القول عاصفة من الضحك هنا وهناك . . لكن العالم قد يشهد بعد خمسة أعوام أو بعد خمسين عاماً ما فى ذلك من شك قيام الدولة اليهودية حسبما تمليه الإرادة اليهودية بأن تنشأ لهم دولة وأن تكون اللغة العبرية لغة يتحدث بها يهود العالم . . »(١)

وإنه لمن عجائب القدر وغريب المصادفات أن تتخذ الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها المشئوم بتقسيم فلسطين بعد خمسين عاماً بالضبط من تاريخ تصريح هرتزل المذكور .

أهم أهداف الحركة الصهيونية ومبادئها :

١ — تشجيع الاستعمار الإستيطانى اليهودى فى فلسطين بطريقة منتظمة ومستمرة

٢ — بعث الحركة اليهودية العالمية وتنظيمها وتوحيد الهيئات اليهودية المتفرقة فى أنحاء العالم .

٣ — السعى لدى مختلف الحكومات للحصول على تأييدها ومساندتها للحركة الصهيونية مقابل تقديم عدد من الخدمات لدول هذه الحكومات .

٤ — لليهود وضع خاص ويشكلون أمة خاصة ولا يمكن حل مشاكلهم إلا عن طريق خلق دولة خاصة بهم .

٥ — تجاهل حقوق أهل المنطقة المزمع استعمارها واستيطانها بل والاستعلاء عليهم .

٦ — الأخذ بالعلمانية والعقلانية والميكيافيللية مع عدم اهمال القاعدة الأساسية التى تقوم عليها الحركة وهى الدين اليهودى .

٧ — الرفض القاطع لفكرة الاندماج مهما كانت التضحيات من جانب المهاجـــرين .

---

(١) أسرار الحقيقة والمستقبل . د : محمود متولى .

الصهيونية والأحزاب السياسية فى اسرائيل :

الصهيونية كحركة عالمية علمانية سياسية تقوم أولا وأخيراً على أساس دينى والأحزاب السياسية فى إسرائيل مهما اختلفت وجهات النظر بينها تتفق جميعاً على اعتناق الصهيونية كمبدأ أساسى باستثناء البعض القليل كالأحزاب العربية وفئة راكاح من الحزب الشيوعى وحزب نواطير القرية من بين الأحزاب الدينية .

والصهيونية كحركة سياسية دينية ودنيوية يغلب فيها الجانب الدنيوى العلمانى على الجانب الدينى نشأة وتخطيطاً وهدفاً وزعامة . ولذلك كانت الأحزاب العلمانية فى إسرائيل أقوى من الأحزاب الدينية وصاحبة الأغلبية ، وإن كانت جميعها علمانية وغير علمانية تعد أحزاباً دينية لأن الصهيونية قائمة على أساس من الدين .

والأحزاب السياسية فى إسرائيل بصفة عامة لها بعض الخصائص المميزة التى تنفرد بها بين شتى الأحزاب السياسية فى العالم .

اهم خصائص الاحزاب السياسية فى اسرائيل :

١ — أ كثر الأحزاب السياسية فى إسرائيل نشأت خارج فلسطين وقبل قيام دولة إسرائيل وفى بلدان أوربا الشرقية كبولونيا والمجر وروسيا القيصرية فى أغلب الأحوال .

وبصورة مختصرة :

— تأسس حزب أغودات إسرائيل عام ١٩١٢ فى أوربا الشرقية وكون جناحه العمالى عام ١٩٢٢ فى بولونيا .

— تأسس حزب مزراحى الدينى فى المجر عام ١٩٠٢ وكون له فرعا فى فلسطين عام ١٩١٨ وكون جناحه العمالى فى القدس عام ١٩٢١ .

٢ — أ كثر الأحزاب الإسرائيلية يوجد لها ما يقابلها بين يهود العالم لخدمة الحزب من الخارج بالعون المادى والدعاية اللازمة ومساعدة اليهود خارج إسرائيل

على التجمع وتشجيعهم على الهجرة . وعضو حزب الماباى فى أى دولة أوربيــة أكثر تضحية لخــدمة القضية الصهيونية من اليهودى الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب .

٣ — تعــدد الاحزاب السياسية فى إسرائيل وكثرة وقوع الانشقاقات والاندماجات بينها بصورة متكررة وملحوظة . وأهم الأسباب وراء تعــدد الأحزاب السياسية فى إسرائيل هو العمل بنظام الانتخاب النسبى فى بلد هو نتاج مجتمعات مختلفة متباينة عانت طويلا من الاغتراب النفسى فى مواطنها الأصلية وقاست من العزلة والاضطهاد ، وعدم الانتماء الحقيقى فراحت كل جماعة متجانسة تبحث عن هذا الانتماء الحقيقى داخل الحزب سواء داخل إسرائيل أو خارجها . وجاءت الأحزاب السياسية فى إسرائيل وفى صورتها الأخيرة مرآة صادقة للمجتمع الإسرائيلى بكل تناقضاته الدينية والاجتماعية والسياسية .

٤ — الأحزاب السياسية فى إسرائيل مؤسسات إقتصادية واجتماعية فكل منها فى الحقيقة نواة مجتمع صــغير قائم بذاته إذ تقوم الأحزاب كل على حدة بنشاطات متعددة فى مجالات الاقتصاد ، والخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والنشاط الثقافى ، فتقيم الأحزاب المدارس والمسارح والنوادى والمستشفيات وسائر المرافق العامة والخاصة حتى يسيطر الحزب على حياة الفرد العضو من المهــد إلى اللحد .

٥ — تقوم الأحزاب السياسية فى إسرائيل على المركزية فى القيادة والجماهيرية فى القاعدة والزعامة والسيطرة تنحصر فى أيدى قلة من الزعماء والقاعدة فى نفس الوقت تعتمد على كثرة الأعضاء .

٦ — محاولة التمييز الإيديولوجى بين الأحزاب السياسية فى إسرائيل محاولة صعبة لأن الفكرة الصهيونية تجمع بينها وتوحد بين العلمانيين ورجال الدين فى وقت الشدة ورغم تصدر الأحزاب العلمانية وفوزها بالأغلبية إلا أنها تفضل الائتلاف مع الأحزاب الدينية وتتراجع أمام طلبات هذه الأحزاب الدينية فى أغلب الأحوال حتى أن حزب الماباى تخلى عن أهم المبادىء العلمانية وهو المطالبة بفصل الدين عن الدولة .

١

اولا — الاحزاب العلمانية :

(١) الأحزاب اليسارية أو الاشتراكية :

١ — حزب الماباى « حزب العمال الزراعيين الإسرائيلى » :

تـكون حزب الماباى عام ١٩٢٩ باندماج حزبين صغيرين هما :

« حزب أحدوت هاعفودا » اتحـاد العمل ، المؤسس عام ١٩١٩ وكان يدعى عمال صهيون « باعولى صهيون » .

«حزب هابوعيل هاتزاعير » العامل الفتى » المؤسس عام ١٩٠٩ من جماعة لاماركسية تؤمن بأن خلاص اليهود عن طريق العمل والانتاج العمالى والزراعى.

وحزب المـاباى من بين الأحزاب السياسية فى إسرائيل فى مركز الصـدارة يصفه البعض بأنه الدولة ويشبهه البعض بحركة تحرير قومية ، فالحـزب يتصـدر الحركةالصهيونية ويمارس السلطة على مدى أربعين عاما على الأقل قبـــل وبعد وجود الدولةدون انقطاع . وزعماء المنظمةالصهيونية العالمية . إما أعضاءفىالحزب أو مؤيدون له . وهو الحزب المسيطر والقائد ، أشرف على تنظيم الهـاجانا وله نفوذ كبير بين ضباط الجيش الإسرائيلى ، وهو الذى أنشأ الفيلقاليهودى فى الحرب العالمية الثانية ويسيطر على الهستدروت أكبر تجمع عمالى فى إسرائيلوهو حزب الاغلبية النسبية فى الـكنيست ، والحزب المؤسس للدولة والحزب الحـاكم الذى ألف كل الحكومات الائتلافية منذ قيامها ، ومن قادته اللامعين بن غوريون .

وأعضاء الحزب من الطبقة العاملة فى المدن والأرياف والطبقة البورجوازية المتدينة ولا يقبل للعضوية فرد من غير اليهود

وينقسم الماباى إلى ١٥ « منطقة » مقسمة إلى ٢٠٠ « فرع » ويتكون كل فرع من عدد من اللجان المحليه كل منها يتكون من عدد من الخلايا .

ومن ممثلى الفروع المنتخبين يتكون « المؤتمر العام » للحزب الذى يتكون من أكثر من ألف عضو . وينتخب المؤتمر للعام اللجنة المركزيه ، المكونة من ٧٠

عضواً وهى قمة التنظيم الحزبى للمابای وهى التى تقود الحزب وتختار الوزراء ومنها تنبثق اللجنة السياسية « المكونة من ٢٣ عضواً ينتخبون من بينهم خمسة أعضاء هم سكرتارية الحزب أو « الأمانة العامة » .

وأهم مبادىء الحزب :

١ — اقتصاديا : تقوم سياسة الحزب على تبنى برنامج إشتراكى مقيد يجمع بين تشجيع رأس المـــال والجهد الفردى وتوسيع دور الدولة ببعض المشاريع الاشتراكية ، وأهم الأسس التى تقوم عليها إشتراكية المابای :

— المزارع الجماعية التعاونية .

— الاقتصاد الموجه .

— بعض التأميمات للمرافق العامة والموارد الطبيعية والخدمات الأساسية

— رفض مبدأ تأميم التجارة الخارجية .

— تشجيع القطاع الخاص وعدم اعتبار الدولة المنتج الوحيد للبضائع .

٢ — سياسياً : تقوم سياسة حزب المابای الداخلية على تشجيع الهجرة إلى فلسطين وتعزيز الجيش الإسرائيلى لردع العرب والتوسع ما أمكن فى أراضيهم .
وسياسة المابای الخارجية موالية ومنحازة كليـــة للغرب مهما حاول الحزب الظهور بالتوسط بين الشرق والغرب وادعاء عدم الانحياز .

٣ — برنامج الحزب بوجه عام خليط بين الصهيونية العلمانية والقومية الشوفينية الدينية والإشتراكية والرأسمالية وهى أولا وأخيراً سياسة حزب الأغلبية المسيطر والذى يهدف إلى إرضاء الجميع والفوز بأكبر عدد من الأصوات المؤيدة .

٤ — يفضل الحزب الائتلاف مع الجبهة الدينية ويحترم بكل التقدير والتقديس مشاعر رجال الدين وتخلى أخـيراً عن مطلبه العلمـانى والذى يقضى بالفصل بين الدين والدولة .

وفى عام ١٩٤٤ انشق أحدوت هاعفودا عن المابای ، وفى عام ١٩٤٨ اندمج مع آخرين لتكوين حزب المـابام . وفى عام ١٩٦٥ انشق بن غوريون ومعه ستة

من أعضاء الكنيست منهم موشى ديان وشمعون بيريس وكونوا حزب رافى أو قائمة عمال إسرائيل « ريشمات بوعلى يسرائيل » .

وفى ١٩٦٨/١/٢١ أعلن رسمياً تكوين « حزب العمل الإسرائيلى » باندماج أحزاب ثلاثة هى :

حزب الماباى ، وحزب رافى ، وحزب الاحدوت ها عفودا

٢ — حزب المابام « حزب العمال المتحدين » :

تألف حزب المابام عام ١٩٤٨ م نتيجة اندماج جماعات ثلاثة :

— هاشومير هاتزعير « الحارس الفتى » المؤسسة عام ١٩١٣ فى غاليسيا وفيينا .

— أحدوت هاعفودا .

— وباعولى زيون سمول « العمال الصهاينة اليساريين » الحركة المؤسسة عام ١٩٠٦ .

والحزب صهيونى يسارى اشتراكى تعتمد قاعدته الشعبية على العمال الزراعيين والصناعيين وبرز كمنافس الماباى فى انتخابات عامى ١٩٤٩ و ١٩٥١ حيث كان ثانى حزب فى الكنيست فى الأولى والثالث فى الثانية ، إلا أنه لم يتمكن من الحفاظ على مركزه هذا طويلا وكثرت به الانشقاقات وأدى إلى اضعافه عوامل كثيرة منها انسحاب حزب أحدوت هاعفودا وتأييد الاتحاد السوفييتى لحق العرب ضد إسرائيل وعرف عن الحزب ميله للاتحاد السوفيتى . والحزب من الأحزاب الثلاثة المهمة المسيطرة على الهستدروت .

وأهم مبادىء الحزب :

١ — إقتصادياً : ينادى الحزب بالتأميم وفرض الضرائب التصاعدية مع التوسع فى سياسة القطاع العام ومعارضته تشجيع الرأسمال الأجنبى أو الرأسمالية المحلية والتخطيط اقتصادياً لاستيعاب المزيد من المهاجرين .

٢ — المناداة بقومية ثنائية فى الدولة يهودية وعربية ومعارضة سياسة اضطهاد العرب وإلغاء الحكم العسكرى المفروض على العرب والمساواة بينهم وبين اليهود والدعوة إلى الصلح مع العرب بإجراء مفاوضات مباشرة دون شروط مسبقة .

٣ — فى السياسة الخارجية يعارض الحزب السياسة الانجلو أمريكية ويؤيد السياسة السوفيتية وعارض الحزب قبول تعويضات من المانيا الغربية أو شراء أسلحة منها .

وبالنسبة للصراع مع العرب على الحدود يطالب الحزب بضم غزة إلى إسرائيل ويطالب بحرية الملاحة لإسرائيل وجعل القدس موحدة والمرتفعات السورية منطقة حرام .

٣ — حزب أحدوت هاعفودا « اتحاد العمل » :

ويرجع حزب أحدوت هاعفودا فى نشأته التاريخية إلى حركة عمال صهيون الاشتراكية المؤسسة بعد الحرب العالمية الاولى فى أوربا الشرقية فى عام ١٩١٩ .

وفى عام ١٩٢٩ اندمج الحزب مع حركة العامل الفتى لتكوين حزب المـــاباى .

وفى عام ١٩٤٤ انشق عن حزب الماباى . وذلك لاتجاه الماباى نحو مهادنة الرأسمـــالية .

وفى عام ١٩٤٨ اندمج مع الحارس الفتى « هاشومير هاتزعير » وحركة العمال الصهاينة اليساريين لتكوين حزب المابام .

وفى عام ١٩٥٤ انسحب من المابام مؤكداً عدائه للاتحاد السوفيتى منادياً بعدم الانحياز .

وفى ١٩٦٨/١/٢١ أعلن رسمياً اندماجه مع حزب الماباى وحزب رافى لتكوين حزب العمل الاسرائيلى .

وأكثر أعضاء الحزب ينتمون إلى الكيبوتز وأكثر أعضائه من البالماح والهاجاناه والعسكريين صغيري السن .

واهم مبادىء الحزب :

١ — اقتصاديا : ينادى الحزب بإبراز دور التخطيط الاقتصادى وتأسيس المستعمرات الزراعية الجماعية وتأميم جميع المصانع والشركات .

٢ — المطالبة بفصل الدين عن الدولة .

٣ — سياسيا: عدم الانحياز بين الكتلتين الدوليتين وعدم إجراء أى علاقات مع ألمانيا الغربية .

ويناقض الحزب نفسه حين يطالب بالتعاون بين العرب واليهود من العمال الزراعيين فى إلغاء الحكم العسكرى فى المناطق العربية ثم يأخذ على حزب المابام تعاطفه مع العرب وكان الحزب يصر على عدم الانسحاب من سيناء فى عام ١٩٥٦ .

٤ — حزب رافى « لائحة العمال الاسرائيليين » :

تألف الحزب فى عام ١٩٦٥ بانشقاق بن غوريون وجماعته عن حزب الماباى بسبب الخلاف بين شخصيتى بن غوريون وليفى أشكول . وكذلك عدم موافقة بن غوريون أيامها على قيام اندماج بين الماباى وأحدوت هاعفودا .

وأهم اتجاهات الحزب تعزيز قوة اسرائيل العسكرية ومضاعفة كفاءتها الضاربة ضد العرب .

وفى أواخر عام ١٩٦٧ تزعم موشى ديان وبيريز حملة من أعضاء الحزب تدعو للعودة إلى الماباى وفى عام ١٩٦٨/١/٢١ أعلن رسمياً اندماج رافى والماباى والاحدوت هاعفودا لتكوين حزب العمل الاسرائيلى .

وبقى بن غوريون وحده على رأس حزب لائحة الدولة ودخل به منفرداً انتخابات ١٩٦٩ وحصل على أربعة مقاعد فى الكنيست السابع .

٥ — الحزب الشيوعى :

من الأحزاب القليلة التى نشأت على أرض فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل فقد تأسس عام ١٩١٩ وتاريخ الحزب حافل بالتنافضات والانشقاقات لأن مشكلته الرئيسية هى كيفية التوفيق بين الصهيونية العالمية والأفكار الماركسية حتى أن بعض اليهود الشيوعيين لم ينجحوا فى حل هذا اللغز ففضلوا مغادرة فلسطين والعودة إلى الاتحاد السوفيتى .

وفى عام ١٩٢٢ حدث انقسام فى مؤتمر حزب العمال الصهيونيين بسبب الخلاف حول مسألة الانضمام إلى الدولة الاشتراكية أم إلى الحركة الصهيونية والذين اختاروا الانضمام إلى الحركة الصهيونية تزعموا حزب المابام والذين اختاروا الدولية الاشتراكية برزوا فى الحزب الشيوعى الفلسطينى .

وفى عام ١٩٤٣ حصل إنشقاق داخل الحزب خرج العرب منه للعمل تحت اسم عصبة التحرر الوطنى ، وبقى اليهود يعملون تحت اسم الحزب الشيوعى الفلسطينى وعاد الجناحان للإندماج مرة ثانية فى عام ١٩٤٨ .

وقد بدأ الحزب حياته معاديا الفكرة الصهيونية ومتهماً الصهيونية بالعمالة لبريطانيا حتى قامت دولة إسرائيل واعترف بها الاتحاد السوفيتى تبعه الحزب فى ذلك . وإن ظل يحمل نظرة عدائية للصهيونية بين عدد من أعضائه .

وفى عام ١٩٦٥ حدث انشقاق آخر فى صفوف الحزب إلى جناحين بارزين :

— جناح ماكى اليهودى « الحزب الشيوعى الإسرائيلى » وشعاره « أيها اليهود توحدوا ضد المتحفزين لإبادتكم مثل النازيين » .

وهذا الجناح يطالب بالاعتراف بالحركة الصهيونية كحركة تحرر قومى وطبيعة الصراع فى المنطقة من وجهة نظر هذا الجناح بين دولة إسرائيل وشعبها من جهة وبين البلاد العربية من جهة أخرى .

ويؤيد جناح ماكى بناء على ذلك الهجرة إلى إسرائيل والتوسع داخل الأرض العربية لبناء إسرائيل الكبرى ويدعو للاستقلال التام للشيوعيين عن موسكو .

— جناح راكاح «القائمة الشيوعية الجديدة» وشعاره: «أيها اليهود: ليس مع الاستعمار والرجعية والصهيونية ضد الشعوب العربية، بل مع الشعوب العربية ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية».

وهذا الجناح يعارض النظرية الصهيونية ولا يراها حركة تحرر قومى بل حركة رجعية سياسية متعصبة ومستغلة كأداة عميلة للبورجوازية اليهودية

ويرى هذا الجناح أن الصراع الحقيقى فى المنطقة بين حركة التحرر الوطنى فى الشعوب العربية وشعب إسرائيل من جهة، وبين قوى الرجعية والبورجوازية المتحالفة مع الاستعمار والصهيونية داخل البلاد العربية وإسرائيل من

وأدان هذا الجناح العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧ وطالب بقبول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ كحل معقول وعادل للمشكلة

والحزب الشيوعى فى إسرائيل بصفة عامة حزب ضعيف ولعدم إيمانه وتحمسه للمفاهيم الصهيونية لا توجد له مزارع جماعية أو تعاونية أو مؤسسات اقتصادية واجتماعية كغيره من الأحزاب. ولا توجد له قاعدة شعبية فى صفوف الطبقة العاملة، ولم يوافق الهستدروت على اشتراك الشيوعيين فيه إلا فى عام ١٩٦٩ حيث انتخب عضو واحد من راكاح فى الهيئة التنفيذية للهستدروت.

(٢) الاحزاب اليمينية أو المحافظة:

١ — حزب حيروت «الحرية»

يشكل حزب حيروت أقصى اليمين السياسى فى إسرائيل، وقد تأسس رسمياً فى عام ١٩٤٨ م إلا أن جذوره تمتد إلى ماقبل ذلك فهو امتداد للحركة التحريفية داخل المنظمة الصهيونية العالمية وقد تزعم هذا الجناح التحريفى الصحفى الروسى فلاديمير جابوتنسكى (١٨٨٠ — ١٩٤٠) حيث طالب بإقامة دولة يهودية على ضفتى نهر الأردن حسب حدود فلسطين التاريخية كما أعلن عداءه لسياسة بريطانيا.

وفى عام ١٩٣٧ انشقت من الحركة التحريفية المنظمة الإرهابية الصهيونية المعروفة باسم « أرغون زفاى ليومى » بقيادة جابوتنسكى أيضاً ترفع شعار العنف والإرهاب لأن العرب لن يقبلوا قيام الدولة الصهيونية بالتراضى

وبعد تدخل بن غوريون بحل المنظمة العسكرية الإرهابية عاد أعضاء الحركة التحريفية والمنظمة الإرهابية للاندماج مرة ثانية تحت اسم حزب حيروت بقيادة مناحم بيجين .

وأكثر أعضاء الحزب من يهود اتحاد جنوب أفريقيا ومن اليهود الشرقيين وقاعدته الشعبية العريضة من الطبقة الوسطى من الفقراء وغير المندمجين والبرجوازية المتوسطة ، وكان الحزب الثانى فى الكنيست من ناحية قوته العددية فى الانتخابات الثالثة ، والرابعة والخامسة حيث كان يعتبر حزب المعارضة الرئيسية للمباى .

ولم يشترك فى أية وزارة ائتلافية حتى ١٩٦٧ حيث اشترك فى حكومة الوحدة الوطنية ثم دخل الوزارة مرة ثانية عقب الانتخابات السابعة للكنيست فى عام ١٩٦٩ . وشعار الحزب : التجمع والاقتحام .

واهم مبادئه :

١ — اقتصادياً : تشجيع الرأسمالية والحرية الاقتصادية ، ومعاداة الاشتراكية بكافة أشكالها وأنواعها وتجريد الهستدروت من اختصاصاته والغاء احتكاراته والتحكيم الإجبارى لنزاعات العمال ، وعدم تدخل الدولة بصفة عامة فى المجال الإقتصادى .

٢ — دستوريا : المطالبة بدستور مدون وتأييد الانتخاب النسبى والأخذ بنظام المجلسين .

٣ — سياسياً : رفض مبدأ الحياد و المطالبة بالتعاون مع الولايات المتحدة وفرنسا وعدم إقامة علاقات مع المانيا ومعاداة الاتحاد السوفييتى و بريطانيا لاعتقادهم بأن بريطانيا وقفت فى طريق إقامة دولة إسرائيل

وفى المنطقة يؤمن الحزب بسياسة التوسع العدوانية وضرورة التشدد فى معاملة العرب داخل إسرائيل .

٢ — حزب الاحرار (الليبرالى) :

تأسس هذا الحزب فى عام ١٩٦١ باندماج حزبين هما :

— حزب الصهيونيين العموميين : والصهيونى العام هو كل من انتمى للمنظمة وسدد رسوم العضوية ووافق على برنامج المؤتمر الصهيونى الأول وقد برز دورهم بعد ظهور الأحزاب الاشتراكية والدينيه فدعوا إلى المحافظة على الطابع الصهيونى العام للمنظمة العالميه واعتنقوا مبدأ الصهيونية فوق الأحزاب وانتشروا خارج إسرائيل بين كبار الأغنياء اليهود وداخلها بين رجال الأعمال وأرباب الصناعة وفى الثلاثينيات أعيد تنظيمهم كحزب ينادى بوضع أسس ثابته للإستعمار الصهيونى فى فلسطين وزادت قوتهم بوصول المهاجرين اليهود من ألمانيا . ونال الحزب الترتيب الثانى بعد المابای فى انتخابات الكنيست الثانية . ولم يشترك فى الحكم إلا فى الفترة ١٩٥٢ — ١٩٥٥ .

— الحزب التقدمى الصهيونى :

تأسس فى عام ١٩٤٨ من جماعة المهاجرين الجدد من اليهود والألمان ويهود أوربا الوسطى وجماعة من العمال وجماعة من الصهيونيين العموميين وهو حزب معتدل أكثر أتباعه من الطبقة الوسطى والمثقفين ومن أرباب المهن . واشترك الحزب فى كل الحكومات الأئتلافيه منذ قيام الدولة باستثناء فترة قصيره ولم يزد عدد نوابة عن خمسة ويمثله فى الحكومة وزير واحد يشغل دائمـــاً وزارة العدل . والصفة الغالبة على حزب الاحرار تعدد الاندماجات والانقسامات .

وأهم مبادئه :

١ — عدم الاعتراف بمفهوم الصراع الطبقى .

٢ — الدعوة إلى حكومة أئتلافيه واسعه لتوحيد العمل الصهيونى .

٣ — وضع دستور يحقق التوازن السياسى والاجتماعى ويحفظ حقوق الأقليات .

٤ — الغاء الحكم العسكرى المفروض على العرب .

• — تقوية الجيش الاسرائيلي وتعزيز قوة اسرائيل الضاربه .

وفى عام ١٩٦٥ انقسم الحزب إلى حزبى الأحرار والأحرار المستقلين فقد كان قصير العمر لم يدخل الانتخابات سوى مرة واحده فى الكنيست الخامس حيث حصل على ١٧ مقعد ولم يدم الحزب سوى أربعة أعوام .

٣ — كتلة جحل :

تأسس هذا الحزب فى عام ١٩٦٥ باتحاد حزب حيروت وأغلبية حزب الأحرار المنشقة وانفرد الأحرار المستقلون بقائمة منفصلة فى انتخابات الكنيست السادسة ١٩٦٥ والسابعه ١٩٦٩ وحصلوا على خمسة مقاعد فى الأولى وأربعة فى الثانية. أما كتلة جحل فجاءت فى الترتيب بعد حزب الماباى إذ نالت ٢٦ مقعداً فى الكنيست واشتركت فى الحكومة الائتلافيه وشكلت حزب المعارضه الاساسى فى عام ١٩٦٥ وتمثل أكبر تجمع قومى يمينى توسعى متطرف فى اسرائيل يتبنى بعض الاتجاهات الفاشستيه . وحتى عام ١٩٦٧ كان الثقل السياسى داخل الكتلة لجناح حيروت وبعد ١٩٦٧ مال الثقل السياسى إلى كفة الجناح الليبرالى .

ثانيا : الأحزاب الدينية :

(١) حزب نواطير القرية أو حراس المدينة،

واتباع الحزب من المهاجرين الهنغاريين والبولونيين وأهم صفاتهم العزله والتعصب ويرفضون الاعتراف بدولة اسرائيل لانهم يؤمنون بأن المسيح المنتظر هو الذى يقيم الدولة اليهودية وهم شديدو التدين ولا يتعاونون مع بقية اليهود داخل إسرائيل فى شئون حياتهم السياسيه والدينيه فلا يشتركون فى الانتخابات ولهم حكومة ظل خاصة بهم تدبر شئونهم وعلة قدومهم إسرائيل كما يعتقدون دراسة التوراة والموت فى الأرض المقدسة .

ويشاركهم الرأى والعقيدة مليون يهودى ينتشرون فى أنحاء العالم . ورغم أنهم أقلية ولا يعترفون بنظام الدولة العام ولا بقوانينها إلا أن الحكومة لا تضيق عليهم الخناق ولا تضطهد أحداً منهم .

وسئل بن غوريون عن السبب فى عدم تحرك الحكومة ضد حزب نواطير القرية المتطرف فقال :

« هناك صعوبة متزايده باستمرار تكتنف عملية اتخاذ الاجراءات بحق أناس تنبع أفعالهم عن إيمان دينى عميق . وليسوا بالتالى من مخالفى القوانين بالمعنى الاعتيادى والمألوف » .

وقال أيضاً عن أتباع هذا الحزب :

« يمثل هؤلاء عالما تحدر معظمنا من صلبه وهو عالم الأجداد والآباء الذى عرفناه فى سن الطفوله . فكيف تريدون أن يقدم المرء على زج جده الأكبر فى السجن وحتى لو أقدم هذا الجد على رمى الغير وقذفهم بالحجارة ؟ »(١)

(٢) حزب أغودات إسرائيل : (جماعة إسرائيل) :

حزب دينى متطرف نشأ فى أوربا الشرقية وفى بولونيا بالذات عام ١٩١٢ وكان يعد فى وقت ما منظمة عالمية للارثوذكسية اليهودية ويعارض بشدة فكرة الصهيونية العالمية لإيمان رواده بأن قيام إسرائيل يتم بالمشيئة الآلهية وعلى يد المسيح المنتظر شأنهم فى ذلك شأن نواطير القرية إلا أن موقفهم من فكرة الدولة الصهيونيه تراجع بالتدريج إعتباراً من عام ١٩٣٧ وفى عام ١٩٤٨ وبعد قيام الدولة الإسرائيلية اعترف الحزب بها على أن تقوم على أساس دينى بحت . وزعماء حزب اغودات إسرائيل من رجال الدين ويميلون إلى الغلو والتشدد .

وأهم مبادىء الحزب :

١ — المطالبة بدولة ثيوقراطية ومعارضة كتابة دستور وضعى من صنع الإنسان وتطبيق الشرائع الدينية فى جميع مرافق الدولة .

٢ — استبدال المحاكم المدنية بمحاكم شرعية ودينية .

---

(١) قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل د . أسعد رزوق .

٣ — معارضة الأفكار العلمانية فى شتى المجالات فيرفضون المدارس غير الدينية ويرفضون تجنيد النساء فى الخدمة العسكرية أو غيرها من الخدمات .

٤ — تأييد الاقتصاد الرأسمالى المعتمد على الجهد الفردى .

٥ — نزع السلطة الواسعة من الهستدروت .

٦ — رفض التعامل مع البلدان الشيوعية الملحدة ومنع إقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى لأسباب دينية ومع المانيا لتاريخها النازى المعروف .

وفى الانتخابات الأولى عام ١٩٤٩ اشترك الحزب مع الأحزاب الدينية الثلاثة لتكوين الجبهة الدينية المتحدة وحصل على ثلاثة مقاعد .

وفى الانتخابات الثانية والثالثة والرابعة اشترك مع حزب باعولى اغودات اسرائيل لتكوين جبهة التوارة الدينية التى حصلت على ٥ ، ٦ ، ٦ مقاعد على التوالى .

وفى الانتخابات الخامسة والسادسة والسابعة انفصل حزب اغودات وحصل على أربعة مقاعد فى كل منها .

(٣) حزب المزراحى : (المركز الروحى) :

وهو حزب دينى معتدل من أقدم الأحزاب الاسرائيلية نشأ فى أوربا الشرقية فى المجر عام ١٩٠٢ ميلاديه ونشأ فى فلسطين فى عام ١٩١٨ ميلاديه . والقاعدة الشعبيه للحزب من الطبقة المتوسطة فى المدن واليهود المحافظين وزعماؤه عادة من العلمانيين وشعار الحزب الدائم :

« أرض إسرائيل لشعب إسرائيل وفقا لشريعة إسرائيل » والحزب أقل تعصبا من حزب أغودات إسرائيل وأهم مبادئه :

١ — لاينادى الحزب بالدولة الثيوقراطية ولكن يتبنى وجهة نظر صهيونية دينية لاتؤمن بالفصل بين الدين والدولة .

٢ — الدعوة لمزيد من الهجرة والاستيطان حيث الهجرة واجب تفرضه التوراة على كل يهودى .

٣ — تشجيع الاقتصاد الحر والجهد الفردى ورفض المفاهيم الاشتراكية والمزارع الجماعية ودور الهستدروت الاقتصادى ورغم ذلك لم يرفض الحزب الاشتراك فى حكومات يسارية .

٤ — تقدير المؤسسات الدينية ورفض كل تشريع علمانى يناقض المبادىء الدينية اليهودية .

٥ — رفض تجنيد النساء فى الجيش وتدعيم المدارس الدينية والمناداة بجعل يوم السبت عطلة واتاحة الفرصة للجنود المتدينين كى يمارسوا شعائرهم الدينية .

٦ — توطيد الصداقة مع الولايات المتحدة .

(٤) حزب هابوعيل مزراحى : (عمال مزراحى)

نشىء عام ١٩٢١ بالقدس على يد جماعة منشقة من حزب مزراحى بسبب يمينيته الشديدة والحزب من أقوى الأحزاب الدينية فى إسرائيل وأكثرها شعبية ومن شعاراته : « التوراة والعمل » ومنها أيضاً «قديم قدم الوصايا العشر وجديد جدة تأميم صناعة الصلب » .

واهم مبادئه :

١ — الجمع بين القديم والحديث وبين الصهيونية والحركة العمالية الحديثة فيشجع الحزب المزارع الجماعية والنشاطات النقابية وبرنامج علمانى متطور غير مقيد بالمبادىء الاشتراكية الصارمة .

٢ — الاتفاق مع الأحزاب الدينية الأخرى فى وجوب المناداة بفرض الدين كمصدر للتشريع السياسى والاجتماعى .

٣ — معارضة تجنيد النساء ، ومساواة الرجال والنساء فى الأجور ونجاح

الحزب فى كسب شعبية عريضة إنما يعود بالدرجة الأولى لكسبه اليهود القادمين من شمال أفريقيا والبلدان الشرقية عن طريق تدبير الاقامة لهم فى المستوطنات الريفية .

(٥) بوعالى أغودات إسرائيل (عمال جماعة إسرائيل) :

أنشىء هذا الحزب فى عام ١٩٢٢ م فى بولونيا لجناح عمالى لاغودات اسرائيل ويهدف وقف التيار العمالى الاشتراكى ومحاربة الروح اللادينية بين العمال اليهود ونشر الروح الدينية بين العمال .

واهم مبادئه :

١ — تأييد قيام الدولة ولو بتدخل غير إلهى مع الإيمان بفكرة ظهور المسيح المنتظر إذا استحق اليهود الخلاص فى الأرض المقدسة .

٢ — الدعوة إلى مزيد من الهجرة إلى فلسطين مع تقوية الجيش استعدادا لردع العرب .

٣ — إقامة مستعمرات تعاونية ويسيطر الحزب على حوالى ١٥ قرية زراعية ويدير مدرسة زراعية .

٤ — التعاون مع المستدروت دون الانضمام إليه لأن قيادته لادينية .

(٦) الحزب القومى الدينى :

تألف الحزب باتحاد حزبى مزراحى وهابوعيل مزراحى لخوض انتخابات ١٩٥٥ وقد حصل فى انتخابات الكنيست الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع على ١١ ، ١٢ ، ١٢ ، ١١ ، ١٢ مقعدا على التوالى . واشترك الحزب فى الحكومات الائتلافية المتعاقبة منذ سنة ١٩٤٨ نظير منحه السلطة على التشريعات الخاصة بالقوانين الدينية والحزب يجمع بين الصهيونية والدين ويصور وزير الشئون الدينية — فارما فتيبغ — سياسة الحزب بقوله :

« إن المهمة التى يضطلع بها حزب دينى مثل حزبنا هى التشديد على القيم الدينية

والارتفاع بها واكتشاف العنصر الدينى فى كل قضية تطرأ بالاضافة إلى تعيين القرار بشأن تلك القضية وفقاً لاحكام الشرع التلمودى . فالحزب الدينى لايسعه أن يعزل نفسه ويحصر نشاطاته بالمسائل الدينية فى معناها الضيق . بل ينبغى له الاهتمام بكل قضية والتصريح برأى حولها سواء كانت قضية اقتصادية أم عسكرية أم داخلية أو خارجية ، والسبب فى ذلك هو أن كل شىء يمت بصلة وثيقة إلى الدين اليهودى . ويمكن بالتالى إضفاء طابع الاتجاه الدينى عليه . إن الحزب الدينى الصحيح مثل حزبنا لايسعه القول أبداً :

نحن سوف نترك الشئون اليومية العامة للأحزاب الاخرى ونركز جهودنا على الأمور والمسائل الدينية وحدها ، (١) .

القوة التشريعية للأحزاب الدينية فى إسرائيل :

جاء فى بيان مجلس الحاخامين الأعلى لمنظمة أغودات إسرائيل العالمية عن سياسته حول فلسطين فى عام ١٩٣٧ :

(د) « إن قيام دولة يهودية ممكن فى حالة واحدة وهى إذا ماجرى الاعتراف بقانون التوراة دستوراً أساسياً للدولة وكانت التوراة السيادة فوق الادارة والحكومة » (٢) .

وجاء فيه أيضاً :

(هـ) « إن الدولة اليهودية إذا لم تكن قائمة على أساس التوراة فإنها تؤلف إنكارا للتاريخ اليهودى وانكارا للجهود الحقه للقومية اليهودية وسوف تؤول بالتالى إلى تحطيم أساس الحياة القومية » (٣) .

ورغم أن الدولة قامت على أساس علمانى وبفضل حزب علمانى الأصل إلا

(١) قضايا الدين والمجتمع فى اسرائيل د . أسعد رزوق .
(٢) » » » » » » »
(٣) » » » » » » »

أن الأحزاب الدينية تراجعت عن هذا الأصل التشريعى وأقرت قيام الدولة كما سبق وتراجع بعضها عن أصل عقائدى آخر يقول بقيام الدولة على يد المسيح المنتظر وبإرادة إلهية . إلا أن هذا إذا دل على شىء فإنما يدل على غلبة الأحزاب العلمانية وأنها صاحبة القرار وصاحبة الدور الرئيسى وراء قيام دولة إسرائيل . هذا فى نفس الوقت الذى تسلم فيه بتقدير الأحزاب العلمانية لمتطلبات الأحزاب الدينية ومقدرة الأحزاب الدينية رغم ضعف قوتها العددية على إبراز دورها المؤثر والهام فى المجال التشريعى والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها : —

١ — التراجع والتردد فى مسألة اقرار دستور علمانى الطابع والمضمون ومن أقوال رجال الأحزاب الدينية فى الجبهة الدينية المتحدة ودفاعهم فى هذا الشأن :

يقول موردخاى نوروك :

« إن شرائع التوراه هى عبارة عن العهد المقطوع لشعب اسرائيل وهذا هو السبب الذى يدفعنا لمقاومة كل قانون مصدق يتعارض مع شرائع التوراة بكل ما أوتينا من القوة وسوف نرى فيه إكراها لضميرنا الدينى(١) » .

ويقول مئير دافيد لوفنشتاين (أغودات اسرائيل) :

« سوف نرى فى الدستور العلمانى محاولة للتخلى عن توراتنا المقدسة وهى التى ضحت فى سبيلها أجيال عديدة بحياتها . . وسوف نقاوم ذلك ونثور ضده بكل ما أوتينا من قوة وروح وقدرة ولا محل هنا للتسويات والتنازلات »(٢) .

٢ — الشروط والمكاسب التشريعية التى تفرضها الأحزاب الدينية مقابل الاشتراك فى الائتلاف الوزارى :

● كان شرط الجبهة الدينية المتحدة بينها وبين المابای فى الحكومة الائتلافية الأولى صدور مرسوم (١٩٤٩) يحظر استيراد الأطعمة الممنوعة دينيا إلى اسرائيل .

---

(١) قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل د. أسعد رزوق

(٢) » » » » » »

وانهار الائتلاف فى فبراير ١٩٥١ بسبب خلاف دينى حول التربية الدينية للأطفال اليهود اليمنيين فى معسكرات العبور .

● اشترطت الجبهة الدينية المتحدة لدخولها ائتلاف الحكومة التالية فى أكتوبر ١٩٥١ ضرورة تنفيذ المطالب التشريعية الدينية التالية :

— تأخير العمل بتجنيد النساء المتدينات فى الخدمة العسكرية لمدة سنه واحدة على الأقل .

— مد مفعول الحظر على استيراد الأطعمة المحرمه دينيا .

— استمرار الدعم المادى للمدارس الدينية وعدم خضوعها لاشراف الدولة العلمانية .

— الحاق يهودى متدين بمنصب وكيل وزارة التربية والتعليم .

وانهار الائتلاف فى سبتمبر ١٩٥٢ بسبب قرارات الحكومة التى تنص على تجنيد النساء المتدينات وقيام الحكومة بتحويل نظام التعليم إلى علمانى ودينى .

وحول تراجع حزب الماباى عن فكرة الدستور المكتوب إلى فكرة الدستور على مراحل وتردده فى إعلان علمانية الدولة وفصل الدين عن الدولة رسميا وتفضيله اشتراك الأحزاب الدينية مع الائتلاف الحكومى . يقول بن غوريون :

« كنت عاقدا العزم على أن أجعل من إسرائيل دولة علمانية تقودها حكومة دنيويه وليس رجال الدين الرسميون . ولقد بذلت جهدى قدر المستطاع لإبعاد الدين عن الحكم وعن ميدان السياسة فتسنى لنا إحراز النجاح بالنسبه للدولة كدولة . إن أسرائيل هى دولة دنيوية لكننا مع الاسف لم نتمكن من ابعاد الدين كليا عن مجال السياسة ، لوجود أحزاب دينية يرجع عهدها إلى زمن المؤتمرات الصهيونية وإلى ما قبل قيام الدولة »(١)

---

(١) قضايا الدين والمجتمع فى اسرائيل د . سعد رزوق .

﴿ الفرق والأحزاب اليهودية ﴾
وظاهرة الفصـــل بين الدين السياسة

بعد هذه الدارسة المختصرة والمبسطة للفرق والأحزاب اليهودية قديمــاً وحديثاً وفى محاولة للربط بينها وبين ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة لا يملك الدارس الأمين والقارىء الواعى إلا أن يقر بهذه الحقائق الثابتة الواضحة :

أولا : الفرق اليهودية القديمة لم تفرق فى تخطيطها وبرامجها وأهدافها بين الدين والسياسة وكانت لها هياكلها التنظيمية كما كانت لها مطالبها الدينية بجوار مطالبها السياسية .

ثانياً : النظام الحزبى اليهودى الحديث وعلى رأسه النظام الصهيونى الحاكم فى إسرائيل يسمح بقيام أحزاب دينيه وهذه الأحزاب الدينية تجمع فى برامجها وأهدافها بين ماهو دينى وما هو سياسى . . ولهذه الأحزاب فى إسرائيل وزنها الفعال وقوتها المؤثرة والموجهة لسياسة البلد داخليا وخارجيا .

ثالثا : الأحزاب السياسية العلمانية فى إسرائيل والتى يعتقد البعض بأنها تأخذ بمفهوم الفصل بين الدين والسياسة . . لهذه الأحزاب أهدافها التوسعية والدينية . . بل إنها جميعاً ومهما إختلفت فيما بينها متفقة بـل وقائمـة أصلا عـلى أساس دينى بحت . . توجهه وتتحكم فيه الصهيونية نسبة إلى جبل صهيون من واقع التخطيط ومن البدء طبقاً لمفاهيم دينية صرفة . . ترتبط بجبل صهيون وأرض الميعاد وحق الأجداد وهيكل سليمان وشعب الله المختار . .

والاعتقاد بالفصل بين الدين والسياسة عند الأحزاب اليهودية الصهيونية الحديثة ضرب من السذاجة والسطحية فلا يوجد فصل من هذا النوع هناك على الإطلاق وإذا جاز لنا أن نرجح كفة على الأخرى فإنما هى كفة الدين لاخلاف.

وحول هذا المعنى يقول عبد السميع الهوارى فى دراسته عن الصهيونية بين الدين والسياسة :

« ولو أن الأسباب السياسية والإجتماعية التى يجاهر بها الصهيونيون الآن كانت حقا هى الحافز لهم على المطالبة بوطن قومى يعتصمون به من ويلات الاضطهاد ويمارسون فيه نشاطهم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى فى أفياء وريفه من الحرية التى يعتقدونها لكان لهم فى أى قطر آخر من الأقطار التى عرضت عليهم وأتيحت لهم — غير فلسطين — غنى ومندحه لسد حاجتهم وإشباع رغبتهم دون ماعنت أو بغى يحيق بأحد أما فلسطين فإن الدافع الدينى هو الذى حددها ووجه إليها الانظار بالذات — وهو السر فى تمسك الصهيونين بها لا يبتغون عنها حولا ولا يرضون بغيرها بديلا . ولئن أثار نهمهم ما كشفت عنه البحوث العلمية من وجود ثروة معدنية طائلة فى البحر الميت سواء مذابه فى مياهه أو مترسبة فى قاعه حتى زاد تشبثهم بها إلا أن الفكرة الدينية هى التى وجهت أنظار اليهود إلى فلسطين فى بادىء الأمر وهى التى بنيت عليها النظرية الصهيونية أصلا .

ولقد حدث أن وفرت روسيا موطنا خاصا لإقامة الجالية اليهودية بين تخومها كان يمكن أن يوفر لهم أطماعهم السياسية لو أن مبنى هذا الاطماع كان الحافز السياسى وحده — فقد أصدر مجلس السوفييت الاعلى فى ٢٨ مايو سنة ١٩٢٣ قراراً بإنشاء دولة يهودية مستقلة على الحدود المنغولية داخل اتحاد الجمهوريات السوفيتية أطلق عليها إسم بيروبيجان — غير أن اليهود لم يرحبوا بهذا القرار بل أهملوه حتى سقط واندثر وقد تزعم مقاطعة هذا القرار لفيف من أقطاب اليهود الروس على رأسهم الدكتور وازمان و بن حوريون وموسى شاريت وجولدا مائير من زعماء رابطة « بوند » للعمال اليهود فى روسيا والمناهضة للحركة العمالية الروسية — وكرسوا نشاطهم لدعم حركة الاستعمار الاستيطانى لفلسطين »

الفصل الثاني

الفرق والأحزاب المسيحية

الفرق الدينية القديمة

الفرق الدينية فى المسيحية منها ما هو قديم قدم المسيحية ذاتها بدأ ظهوره فى القرون الميلادية الأولى من ذلك الارثوذكسيه والكاثوليكية ومنها ما هو أحدث عهداً وبدأ ظهوره بعد القرن العاشر الميلادى ومن ذلك فريق البروتستنت نتاج حركة الإصلاح الدينى .

والفرق المسيحية القديمة بعضها اختفى وانقرض وبعضها انتشر ولا يزال له أتباعه حتى الآن .

واهم الفرق القديمة البائدة :

(١) الاريوسيون : أتباع أريوس .
(٢) البوليقانيون : أتباع بولس الشمشاطى .
(٣) المرقيونيون : أتباع مرقيون .
(٤) المقدونيون : أتباع مقدونيوس .

واهم الفرق القديمة الباقية :

(١) النسطوريون : أتباع نسطور .
(٢) اليعقوبيون أو الأرثوذكس : أتباع يعقوب البراذعى .
(٣) المارون : أتباع يوحنا مارون .
(٤) الملكانيون أو الكاثوليك .

وفرق دينية احدث عهداً اهمها :

(١) البوجوميليون .
(٢) الكثاريون .

(٣) الولدانيون .

(٤) الفرنسيسكان .

(٥) الدومينيسكان .

(٦) البروتستنت .

أهم الفرق القديمة البائدة :

(١) الآريوسيون أو فرقة أريوس :

وهم أتباع أريوس المصرى الذى كان قسيساً بالاسكندرية وكان يؤمن بأن الآب وحده الله والإبن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن .

وكانت كنيسة أسيوط وعلى رأسها ميلتوس على رأى أريوس وكذلك كان على رأيه أيضاً أسقف مقدونيه وأسقف فلسطين على زمانه .

إلا أن بطريرك الإسكندرية بطرس لعنه فطرده من حظيرة الكنيسة وكان يقول :

« إن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه : فإنى رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب فقلت له : يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى : أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم » .

ومن بعد بطرس ولى أمر كنيسة الإسكندرية البطريرك إسكندر الذى عقد مجمعاً فى كنيسة الإسكندرية وحكم على أريوس بالحرمان .

ويرى ابن حزم أن التوحيد المجرد كان من مبادىء أريوس وأن إمبراطور الرومان قسطنطين الأول كان على مذهبه . إلا أن الثابت هو أن قسطنطين هو الذى جمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وجنح فيه إلى رأى بولس وأمر بعقد مجلس خاص للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأى وعدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة ويقولون بألوهية المسيح وأمر المجمع فى النهاية بتحريق الكتب التى تخالف هذا الرأى .

ويرى الشهيد سيد قطب أن الآريوسيين كانوا يعتقدون بأن الإبن ليس أزليا كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم فهو دون الآب وخاضع له وذلك فى رأيه لا يعتبر من التوحيد فى شىء حيث يقول عنهم :

« إنما هم يخلطون ! فبينما هم يقررون أن المسيح ليس أزليا كالله — وهذا حق — يقررون فى الوقت نفسه أنه (الإبن) وأنه مخلوق من (الآب) قبل خلق العالم ! وهذا لا يعتبر من التوحيد الحقيقى فى شىء » .

(٢) البوليقانيـون :

وهم أتباع بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية الذى كان يؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله كغيره من الأنبياء عليهم السلام إنسان لا إلهيـة فيه خلق من اللاهوت كواحد منا خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر .

ومن المأثور عن بولس الشمشاطى قوله : لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس .

ويقولون المسيح ابن الله لأنه الخاص للجوهر الإنسى حلت فيه وصحبته النعمة الإلهية .

والله عندهم جوهر واحد وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء .

(٣) المرقيونيـون :

نسبة إلى مرقيون زعيمهم وداعيتهم ويؤمنون بأن مرقيون رئيس وكبير الحواريين وليس بطرس

ويقولون بآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهم .

ومنهم فرقة البربرانية التى يؤمن أتباعها بأن المسيح وأمه إلهان .

(٤) المقدونيون :

أتباع مقدونيوس بطريرك القسطنطينية فى عهد قسطنطين بن قسطنطين الثانى .

ويؤمن مقدونيوس بأن روح القدس مخلوقة وليست إلها .

ويعتبره الكنسيون نصف أريوسى اختلس كرسى القسطنطينية ، واحتجب سنين عدة تحت رداء المذهب الاريوسى . وانعقد لذلك المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١ ميلادية وهو المجمع الذى قرر لعن مقدونيوس وأتباعه .

وجاء فى تقريره :

« قال ثيموثاوس بطريق الإسكندرية ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئاً غير حياته . فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقه وإذا قلنا إن حياته مخلوقه فقد زعمنا أنه غير حى وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن » .

أهم الفرق القديمة الباقية :

(١) مذهب النسطوريين :

نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية فى عام ٤٣١ ميلادية .

أهم مبادئهم :

١ — المخلوق لا يلد الخالق ومريم لم تلد إلها لأن الجسد لا يلد إلا جسداً .

٢ — مريم تسمى والدة المسيح الإنسان ولا تسمى والدة الإله .

٣ — اتحد عيسى بالأقنوم الثانى بعد الولادة إتحاداً مجازياً أى أن اللاهوت اتحد بعيسى بعد ولادته .

وبذلك يكون مذهب نسطور قد وضع الأساس الأول للفكرة القائلة بطبيعتين فى المسيح وهى الفكرة التى تبناها الكاثوليك فيما بعد مع الفارق .

وعارضت الكنيسة الشرقية ذلك وطرد نسطور من منصبه وتم نفيه وتوجه بعد نفيه إلى مصر حيث أقام بأخميم حتى وفاته .

وقام بالدعوة إلى إحياء مذهبه بعد ذلك العالم المسيحى برصوما مطران نصيبين . وللمذهب أتباع حتى الآن فى العراق والموصل والجزيرة .

(٢) مذهب الأرثوذكس :

هو مذهب الكنائس الشرقية ويسمى أحياناً بالمذهب اليعقوبى نسبة إلى الداعية يعقوب البرادعى .

وهو رد الفعل العقائدى لمذهب نسطور وقد عرف وأعلن قبل ظهور مذهب الكاثوليك .

والمذهب كغيره من المذاهب المسيحية فى تلك الآونة يدور بحثا فى طبيعة المسيح وفى مجمع عقد لهذا الغرض فى عام ٤٣١ ميلادية بمدينة أفسيس بالأناضول عبر الحاضرون عن رأيهم الذى جاء متفقاً مع عقيدة البابا كيراس بطريرك الإسكندرية .

واهم مبادىء المذهب :

١ — العذراء مريم ولدت إلها وتدعى بحق والدة الإله .

٢ — للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفى المسيح أقنوم واحد .

وأكثر أتباع المذهب من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية عموما كروسيا والبلقان واليونان .

وكنيستهم تدعى كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية ومقرها الأصلى القسطنطينية وأصبحت لهم الآن عدة كنائس مستقلة .

والخلاف حول طبيعة المسيح من أهم الأسباب التى أدت إلى فصل الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية . وقد تم ذلك على عهد ميخائيل كارولا ريوس بطريرك القسطنطينية لعام ١٠٥٤ ميلادية .

(٣) المذهب المارونى :

ويدعى المذهب المارونى نسبة إلى صاحبه يوحنا مارون الذى ظهر بآرائه فى عام ٦٦٧ ميلادية .

واهم مبادئه :

١ — المسيح طبيعتان .

٢ — المسيح فى نفس الوقت مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد .

ورفض البطارقة هذا القول وفصحوا الامبراطور بعقد مجمع يحسم فيه الأمر فعقد مجمع القسطنطينية لعام ٦٨٠ ميلادية والذى تقرر فيه القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين كما تقرر لعن كل من يؤمن بخلاف ذلك .

(٤) مذهب الكاثوليك :

ويدعى المذهب الملكانى أو مذهب الطبيعتين والمشيئتين .

وقد اتخذ به قرار فى مجمع خلقيدونيه لعام ٤٥١ ميلادية وقد حضر المجمع زوج الملك ولذلك يدعى بالمذهب الملكانى .

واهم مبادئة :

١ — المسيح طبيعتان ومشيئتان .

٢ — المسيح أقنوم واحد . أقنوم إلهى بحت له فى نفس الوقت ذاتان وكيانان هما الإله والإنسان .

٣ — يعتقدون أن مريم ولدت الاثنين جميعاً ولدت يسوع المسيح الذى هو مشترك مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية .

وفى ذلك يخالفون نسطور فيما ذهب إليه .

واعتنقت المذهب ودعت إليه كنيسة روما .

وكنيستهم تدعى بالكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية .

والكاثوليكية : تعنى العامة فهى تدعى أم الكنائس ومعلمتها وكنيسة الكل .

والغربية : نظراً لامتداد نفوذها تجاه الغرب .

واللاتينية : لأن أكثر أتباعها من أبناء إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال .

والبطرسية أو الرسولية : لأن أتباعهـا يؤمنون بأن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم .

والكنيسة تتبع النظام البابوى وهو النظام الذى يرأسه البابا والكرادلة ولهم وحدهم الحق الأول والأخير فى تنظيم شئون الكنيسة .

﴿ الفرق المسيحية القديمة ﴾
وظاهرة الفصل بين الدين والسياسة

كان الخلاف الذى أوجد الفرق المسيحية القديمة خلافا اعتقاديا فى أساسه يدور حول مسائل اعتقادية بحتة كالاعتقاد بألوهية المسيح من عدمه ، وكالاقرار بألوهية الروح القدس وكالقول بأن المسيح اجتمع فيه الانسان والإله لا الانسان فقط ومريم ولدت الاثنين وكالاقرار بطبيعتين منفصلتين للمسيح ونفى كونه طبيعة واحدة متحدة .

وبعض الذين يقرلون بالفصل بين الدين والسياسة قد يحلو لهم الاعتقاد بأن الشاهد على مايقولون ومضرب الأمثال لما يدعون إليه إنما يستشف من هذه الفترة الاولى ويتجسم واقعاً ملموساً فى هذه الفرق المسيحية القديمة حيث مملكة قيصر لقيصر ومملكة الله لله . . وليس للدين وأهله غير البحث والعمل فى هذا المجال الاعتقادى وحده . . وماعدا ذلك من اختصاص الدولة ورجال السياسة . .

وأن ذلك الذى وقع قديما فى بداية انتشار المسيحية وعلى عهد الحواريين والرسل المؤسسين خير دليل وأكبر شاهد على مايطالبون به من فصل للدين عن السياسة . . مملكة منفصله وعالم مستقل لكل منهما . .

وحقيقة الأمر أن الدين والسياسة لم ولن يكون أى منهما بمعزل عن الآخر فى وقت ما . . وأن السياسة وفى هذه الفترة محل البحث بالذات لم تتحكم فى مصير الدين فى يوم من الأيام بأقوى وأخطر مما كان منها فى ذلك الحين . .

ذلك أن السلطة السياسية وقتها كانت صاحبة الأمر والنهى وصانعة القرار الفاصل والأخير فى مصير الفرق الدينية مايصرح له بالبقاء والانتشار وما يكتب عليه الفناء والاندثار . . وذلك من خلال قنوات عديدة وسبل شتى أهمها المجامع المقدسة المشهورة . .

وعلى سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

أولا : مجمع نيقيه الذى عقد فى سنة ٣٢٥ ميلادية وقرر ألوهية المسيح مقالة

بولس الرسول وأمر بتحريق الكتب التي تخالف هذا الرأى ورفض ما كان يقول به أريوس من أن الآب وحده هو الله والابن مخلوق مصنوع وكان الاب إذ لم يكن الابن . هذا المجمع تحدد مصيره وصدر قراره بوازع السلطان وفى ذلك يقول ابن البطريق :

« إن قسطنطين هو الذى اختار أن يعقد أولئك الاساقفة الذين يبلغون فقط ٣١٨ مجلساً خاصاً بهم وحضر هو المجلس وأعطاهم إشارة الملك والسلطان » .

ويجمع الرواة على أن أريوس كان معه فى ذلك المجمع أكثر من سبعمائة أسقف إلا أن السلطان جنح إلى رأى برلس ومن معه وعدتهم كما ذكرنا ثمانية عشر وثلاثمائة فقط .

ثانيـــاً : مجمع خليكدونيه الذى عقد فى سنة ٤٥١ م وفى قراره ورد عن ابن البطريق :

« قالوا إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد ولعنوا نسطور ولعنوا ديسقورس ومن يقول بمقالته ونفوه ولعنوا المجمـــع الثانى الذى كان بأفسس . وقـــد نفى ديسقورس إلى فلسطين » .

هذا المجمع يقول فى شأنه الإمام محمد أبو زهرة إنما عقد بأمر الامبراطورة وزوجها واجتمع فى شهر اكتوبر من عام ٤٥١ ميـــلادية تحت إشراف زوج الامبراطورة خصيصاً لتنفيذ وفرض رأيها الذى تميل إليه .

ثالثاً : الأمور العادية والعبادات الثانوية كانت السلطة تتدخل فيها أيضاً وتفرض رأيها الذى تميل إليه كما فى تحريم اتخاذ الصور . فقد ظهرت فى عام ٧٢٦ ميلادية حركة عرفت بحركة ليون المسيحية وهو ليون الثالث الذى عرف بمكسر

الاصنام واشتهر بمنهجه فى العنف وورد فى شأنه عن صاحب كتاب الطرق النقية :

« إن ليون فعل ذلك لاسباب سياسية إذ رغب فى التقرب إلى المسلمين بذلك . أو فعل ذلك تقليداً لحركة من هذا النوع قام بها فى ذلك العصر المسلمون فى ديارهم » .

وانعقد لذلك مجمع بأمر قسطنطين الخامس فى عام ٧٥٤ ميلادية تقرر فيه تحريم اتخاذ الصور والتماثيل وكذلك تحريم طلب الشفاعة من العذراء .

وتلاه انعقاد المجمع السابع بأمر الملكة ايرينى فى سنة ٧٨٧ ميلادية وفى مدينة نيقيه ولذلك سمى المجمع النيقاوى الثانى وكان أعضاؤه ٢٧٧ أسقف وتقرر فيه تقديس صور المسيح والقديسين لاعبادتها .

● وخلاصة ما نخرج به من وقائع وحقائق حول هذه الفترة والدروس المستفادة منها :

أولا : لم يكن هناك فصل بين الدين والسياسة كما لم يكن هناك مايوحى أو يبعث على المناداة بذلك إن لم يكن العكس هو الصحيح . . وكانت هناك السلطة الزمنية حاضرة بكل ثقلها . . بوثنيتها ومخلفات إلحادها فى لحظة حرجة وهامة وخطيرة تقرر فيها مصير الدين المسيحى ككل . . فرقه ومذاهبه . . رجالاته وصراعاته .

ثانياً : من الصعب تصور احتمال وقوع الفصل بين الدين والسياسة عملا . . فالسلطة السياسية دائماً موجودة وحاضرة ويفرض عليها جبراً التدخل فى عملكة الدين ولو من باب فض النزاع بين بعض الطوائف الدينية على سبيل المثــــال . .

ويصبح على ذلك الأجدى والأوقع البحث فى مستوى الفهم والتحصيل الدينى بين رجال السياسة أو فى مدى تمثيل العنصر الدينى داخل السلطة الزمنية أو فى

الضمانات الواجب مراعاتها لحماية الدين من حيل السياسة وشرطتها وجيوشها .

وإلا فما هي النتيجة المنتظرة عقلا ومنطقاً حينما تتحكم في مصير فرق دينية سلطة سياسية وثنية ! ! وتحتكم طوائف دين سماوى عند أعتاب أمبراطور ملحـــد . .

ثالثاً : فى هذه الفترة محل البحث بالذات أى العصر الأول لانتشار المسيحية . . ربما لو كانت السلطة غير السلطة لكان العالم اليوم غير العالم . وكانت المسيحية غير المسيحية . . وكتب الذيوع والانتشار لفرق غير الفرق . . ومذاهب غير المذاهب . . وربما أنقذت من التحريق والتحريف كتب بذاتها . . وواجت اليوم كتب غير الكتب وعلى وجه التحديد أقرب إلى التوحيد .

وربما أخذ أريوس فى قلوب الناس واتباع الأتباع مكانة نسطور . .

وعلى صفحات التاريخ المتدحرج بطاريرك أنطاكية الموحد بولس الشمشاطى محل بولس الرسول ! !

ولكنها السلطة .. السلطة الزمنية التى تملك الكثير وفى مقدورها ماهو أكثر من ذلك أضعافاً مضاعفة لو قلنا بالفصل التام أو المنقوص بين الدين والسياسة . . فى مقدورها القضاء التام على الدين وترحيله إلى المتاحف كأثر من الآثار ومرحلة من مراحل تطور الانسان ؟ !

رابعاً : فى البحث الجاد للفصل بين الدين والسياسة من عدمه يجب الا يفوت القائمين به وضع عدة فروض أولية موضع الاعتبار أهمها أن السلطة السياسية دائماً أقوى برجالها وحيلها وأعوانها وجيوشها .. ورجالها عادة أجهل بأمور الدين من أصحابه بل وفى بعض الأحيان وثنيون وملحدون . ولا مفر والأمر كذلك من أن تجنح السلطة السياسية على هواها فترجح غثاً على ثمين وتنصر طالحا على طالح !!

والتاريخ إنما يعيد نفسه .. وماوقع بالأمس البعيد يتكرر وقوعه فى الحاضر القريب .. مع الفارق .. حيث جنحت السلطة الزمنية قديما فرجحت كفة الفرق

الجادة الموحدة واليوم تميل بمنجل الالحاد فتحصد الدين من أساسه وتقتلعه من جذوره وأول الغيث قطره ! !

ويفرض السؤال نفسه .. كيف أنتهت المسيحية مابين يوم وليلة فى روسيا معقل الأرثوذكسية لآلاف السنين ؟ ! وماهى الحتميات العلمية والمبررات التاريخية والجدلية والمنطقية للقضاء على المسيحية مابين عشية وضحاها فى الحبشة دولة المسيحية فى القارة الافريقية على يد رجل كالمجستو !!

اللهم إن لم تكن السلطة السياسية ومفاجآتها ! !

فرق دينية أحدث عهدا :

(١) مذهب البوجوميليين :

وقد انتشر هذا المذهب فى بلغاريا كما عرف فيها بهذا الاسم وهو خلاصة اندماج مذهبين هما :

١ — مذهب المانوية .

٢ — ومذهب البوالسة .

والبوالسة أتباع «مارسيون» أحد أتباع القديس بولس وهم . جماعة أرمينية أهم مبادئهم :

١ — رفض تعميد الأطفال والتطهير قبل دخول الجنة .

٢ — رفض الثالوث .

٣ — رفض دعاء القديسين .

وقد انتشروا ببطء وبالتدريج فى تراقيا وعن طريقها دخلوا بلغاريا .

وقام الصليبيون خلال حملاتهم بنقل مذهب البوجوميليين إلى إيطاليا وفرنسا فكان أصل مذهب الكثاريين .

وحين عقد الكثاريون مجلسهم فى عام ١١٦٧ ميلادية بالقرب من تولوز كان من الحاضرين مندوبون بلغاريون .

(٢) مذهب الكثاريين :

انتشر المذهب وكثر أتباعه فى شمال إيطاليا وجنوب فرنسا وعرف فى جنوب فرنسا باسم مذهب « البيجنسيين » وكان مذهب الأغلبية هناك بما فى ذلك طبقة الأشراف .

وانتشر المذهب فى أوربا على يد الصليبيين الذين جاءوا به من آسيا وبلغاريا بالذات عن طريق البلقان وأهم الأسباب التى ساعدت على انتشاره :

١ — صدمة الشعور العام وخيبة الأمل التى منى بها الجميع بعد فشل الحروب الصليبية .

٢ — انحطاط المستوى الأخلاقى لرجال الكنيسة وحبهم للثراء الفاحش بغير وجه حق .

أهم مبادئهم :

١ — يؤمنون بأن يهوا المذكور فى العهد القديم كائن خبيث أما الإله الحق فلم يتكشف إلا فى العهد الجديد وهم ثنائيون كالغنوسطيين .

٢ — يؤمنون بأن المادة شر على طول الخط .

٣ — يعتقدون أن أصحاب الفضيلة لا تنشر أجسادهم يوم البعث وأصحاب الرذيلة يتعذبون بتناسخ أرواحهم فى أجساد حيوانية .

٤ — كانوا نباتيين يحرمون على أنفسهم أكل اللحم كما يحرمون البيض والجبن واللبن ويأكلون السمك لاعتقادهم بأن الأسماك لا تتوالد بالتناسل الجنسى .

٥ — يبغضون كافة أنواع العلاقات الجنسية حتى قال بعضهم بأن الزواج شر من الزنا لدوامه .

٦ — كانوا يؤمنون بالتسامح لأقصى حد ويديرون الخد الأيمن لمن يضربهم على الأيسر .

٧ — لا يجيزون لأنفسهم حلف الإيمان .

٨ — يجيزون الإنتحار ولا يجدون مانعا لذلك .

٩ — يقبلون « العهد الجديد » بحرفيته أكثر من الأرثوذكس أنفسهم . وعرف المتطرفون منهم بطائفة « الكاملين » .

ذلك مع ملاحظة أن أغلب الكثاريين كانوا يتزوجون ويأكلون اللحم .

وفى عام ١٢١٥م عقد مجمع اللاتيران الرابع فى أوج بابوية إنوسنت وحضره ٤٠٠ أسقف و ٨٠٠ من رؤساء الرهبان ووكلائهم وممثلو ملوك العالم المسيحى وكان من أهم قراراته :

— تكفير هرطقتى الألبجنسيس والكاثارية .

(٣) مذهب الولدانيين :

الولدانيون نسبة إلى « بطرس والدو» مؤسس الطائفة والذى بدأ نشر مذهبه فى عام ١١٧٠ ميلادية .

وأهم أهدافه إحياء شريعة السيد المسيح الحقة .

وقد بدأ بطرس والدو بنفسه فتنازل عن كل ممتلكاته للفقراء وأنشأ جمعية تسمى « جمعية فقراء ليون » .

وبعد ما ظفرت الطائفة بمرافقة البابا فى بادىء الأمر إزداد حماسهم الدينى وأسرفوا فى فضحهم وهجومهم لدعارة رجال الكنيسة .

وفى عام ١١٨٤ ميلادية صدر حكم مجلس « فيرونا » فى غير صالحهم فاستغنوا عن القساوسة الكاثوليك وعينوا لأنفسهم قساوسة منهم وقرروا بأن من حق كل رجل طيب وقادر أن يبشر بتعاليم الكتاب المقدس ويعظ الناس بمبادىء المسيحية السمحه .

وذاع المذهب وكثر أتباعه وانتشروا حتى لمبارديا وبوهيميا .

وقد مهد الولدانيون الطريق لظهور « الحوسيين » فيما بعد :

واضطهدوا بعنف مع « البيجنسيين » . وكان اضطهادهم فى « بيدمونت » مضرب الأمثال وكان ذلك فى عهد الشاعر المعروف « ملتن » الأمر الذى أوحى له بموضوع مقطوعته الشعرية المشهورة والتى يبدأها بقوله :

« انتقم يا رباه للمذبوحين من أوليائك الصالحين » .

وللطائفة أتباع حتى يومنا هذا وخاصة فى الولايات المتحدة وفى الأطراف النائية من وديان الألب .

(٤) جماعة الفرنسيسكانيين :

ويطلق عليهم أحيانا الرهبان الصغار أو الرهبان الرماديون أو الرهبان الزناريون جماعة رهبانية أنشأها القديس فرنسيس الأسيسى الإيطالى (١١٨٢ — ١٢٢٦ م) وكان شابا غنياً وهب نفسه لخدمة الدين وأصبح شاعراً متجولا ذاعت أناشيده الدينية بالعامية فى كل مدن إيطاليا . وكان نشاط جماعته موجهاً لسكان المدن أساساً .

ونذر أتباع الجماعة أنفسهم للفقر والبساطة حتى نظرت إليهم الكنيسة من بادىء الأمر نظرة شك وريبة لتقاربهم فى بعض عاداتهم من جمعية فقراء ليون . واتهم البعض زعماء الجماعة بالزندقة .

ولكن أنوسنت الثالث كان على درجة من الذكاء والفطنة بحيث رأى من الممكن الاستفادة من الجماعة وحصرها فى حدود المبادىء الأرثوذكسية . فمنحهم إعترافه الحذر بالطائفة فى عام ١٢٠٩ ميلادية وإن لم تصبح جمعية رسمية حتى عام ١٢٢٣ ، وكذلك أيدهم جريجورى التاسع .

وكان فرنسيس الأسيسى يكره أن يكون لأتباع جماعته بيوت أو كنائس . وبعد ما عاد من رحلة له قام بها إلى الشرق فى عام ١٢١٩ آلمه كثيراً أن يجد أتباعه اتخذوا داراً للجماعة .

واختلف الأمر كثيراً بعد وفاة فرنسيس الأسيسى إذ تزعم الجماعة « الأخ الياس » الذى راح يتقلب فى الثراء وأصبح أكثر زعماء محاكم التفتيش بعد موت فرنسيس بسبع سنوات من طائفة الفرنسيسكان . والقلة القليلة التى ظلت متمسكة بمبادىء الجماعة وأطلق على أفرادها « الروحانيون » كان مصير أكثرهم الحرق من محاكم التفتيش التى اتهمتهم بالزندقة . ومن مبادئهم التى اتهمهم عليها يوحنا الثانى والعشرين بالزندقة فى عام ١٣٢٣ قولهم بأن المسيح والرسل لم يكن لهم متاع يملكونه .

وأصبحت المحصلة النهائية لما دعى إليه القديس فرنسيس قيام طائفة أخرى تحولت فى النهاية إلى واحدة من الطوائف الفاسدة .

ومن الفرنسيسكانيين المشهورين :

١ — روبرت جروستست (ت ١٢٥٣) أسقف انكولن وقد طالب بضرورة دراسة المنابع الدينية الأولى .

٢ — روجر بيكون تلميذ جروستست وأعظم دعاة العصور الوسطى المشاهدة والتجربة .

٣ — دنس سكوتس ووليام أوكام من المعارضين لفلسفة توما الأكوينى .

(٥) جماعة الدومينيكان :

ويطلق عليهم أحيانا الرهبان الواعظون أو الرهبان السود أو اليعاقبة فى باريس .

وهم جماعة وهبوا أنفسهم للوعظ والإرشاد . وتركز نشاطهم فى المدن مثل الفرنسيسكانيين وعهدت إليهم إدارة محاكم التفتيش فى عام ١٢٣٣ فكان نشاطهم فى هذا المجال أكثر من نشاط الفرنسيسكان . كما كان أثرهم المباشر فى التعليم أقوى بصورة واضحة .

أنشأ الجماعة القديس دومينيك الأسبانى وكان من المخلصين للأرثوذكسية إلى حد التعصب والهوس .

وأقر أنوسنت نشاط الجماعة رسمياً فى عام ١٢١٥ ميلادية .

وكان تحصيل العلوم الدنيوية والتفرغ للدراسة من أهم أهداف الجماعة إلى درجة أنه كان من المصرح لرهبانها بالحد من ساعات العبادة ، كما لم يكن العمل اليدوى ضمن الواجبات المفروضة عليهم .

وأدت الجماعة خدمات جليلة فى مجال العلم وإن كان القديس دومينيك قد أصدر قراراً لرهبانه « بألا يحصلوا العلوم الدنيوية أو الفنون الحرة إلا بفتوى تجيز ذلك » إلا أن هذه القاعدة لم تنفذ فى عام ١٢٥٩ وبذلت كل الجهود لتيسير الحياة العلمية لرهبان الدومينيكان .

ومن آثارهم المشهودة فى ذلك المجال إنفاقهم لجهد كبير من أجل التوفيق بين أرسطو والمسيح . وقد قام بهذه المهمة اثنان من أبرز رجال الدومينيكان وهما :

١ — ألبرت الكبير .

٢ — توما الأكوينى .

(٦) البروتستنت :

حركة الإصلاح الدينى وظهور البروتستنت : —

أهم ما يميز القرن السادس عشر بالنسبة إلى دول غرب أوربا المسيحية هو ظهور حركة الإصلاح الدينى التى أدت إلى نشوب حروب دينية دموية بعيدة المدى بسبب ظهور طوائف دينية جديدة تخالف المذهب الكاثوليكى .

واهم أسباب الحركة :

١ — إنهيار سلطة الكنيسة وتمزق وحدتها وانتشار الفساد بين أفرادها وانصراف البابوات أنفسهم إلى ملذاتهم الدنيوية الخاصة وعلى رأسهم إسكندر بورجيا ويوليوس الثانى وليو العاشر .

٢ — شيوع العمل بمسألتين لا أصل لهما فى الأناجيل المعروفة ولا يقرهما عقل بأى حال من الأحوال وهما :

(أ) الاستحالة : وهى اعتقاد المسيحى بأنه حينما يأكل الخبز ويشرب الخمر يوم الفصح الأمر المعروف لديهم بالعشاء الربانى يستحيل الخبز إلى لحم عيسى وتستحيل الخمر إلى دمه — فمن أكل الخبز وشرب الخمر فكأنما أدخل المسيح فى جوفه واختلط به وبتعاليمه .

(ب) صكوك الغفران : وهى صكوك تباع وتشترى بهدف غفران الذنوب وهى بمعنى آخر إذن لحاملها بارتكاب شتى الجرائم ما دام قد ضمن الجنة بالصكوك التى اشتراها .

٣ — محاكم التفتيش والهرطقة : والهرطقة تعنى مخالفة رأى الكنيسة وقد أوقعت محاكم التفتيش بالهراطقة دون تمييز أقسى أنواع التعذيب والإضطهاد ، كما جاء قرار المجمع الذى عقد فى عام ١٢١٥ بتكفير الهراطقة واستئصالهم وبناء على ذلك أحرق كل من يوحنا هوس وجيروم كما أحرقت كتب أبيلارد الذى سجن حتى الوفاة .

٤ — النهضة الأدبية وانتشار الكتاب المقدس بين جميع الطبقات ومعرفة التعاليم المسيحية الأصيلة على حقيقتها .

٥ — يقظة الشعور القومى والوطنى والعمل من أجل تحقيق نظم ملكية مستقلة فى كافة شئونها الدينية والدنيوية .

واستمر الصراع فترة بين حركة الإصلاح والكنيسة دون جدوى فلا الكنيسة استطاعت القضاء على الحركة ولا الحركة استطاعت إصلاح حال الكنيسة .

وكانت المحصلة النهائية ظهور طائفة البروتستنت التى أنشأت لأتباعها كنائس جديدة تسمى الكنائس البروتستنتية أو الإنجيلية .

وكانت ألمانيا أول بلد أعلن الثورة على البابوية وانتشرت البروتستانتية فى ألمانيا وانجلترا والدانمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية .

واتبعت الكنيسة البروتستانتية نظاماً تعاونياً يتعاون فيه الأعضاء على تبادل القيادة والوعظ مع الحفاظ على الاستقلال الذاتى لكل كنيسة .

وأهم مبادىء المذهب البروتستنتى الرئيسية والمشتركة بين شتى الفرق البروتستنتية :

١ — الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية .

٢ — ترجمة الكتاب المقدس للغات المختلفة .

٣ — قراءة الكتاب المقدس وتفسيره من حق كل مسيحى قادر .

٤ — ليس للكنائس البروتستانتية رئاسة عامة .

٥ — ليس للكنيسة حق غفران الذنوب .

٦ — لا علاقة للعشاء الربانى بجسم المسيح ودمه .

٧ — إباحة الزواج لرجال الدين وعدم الإعتراف بضرورة الرهبنة .

٨ — عدم السجود للصور والتماثيل وإبطال عادة وضعها فى الكنائس .

وأهم حركات الإصلاح الدينى البروتستنتية :

(أ) اللوثرية .

(ب) الكلفنية .

(حـ) البيوريتان .

(أ) اللوثرية :

اللوثرية نسبة إلى مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٠) أشهر المصلحين فى زمانه وقد ظهر فى ألمانيا فى البلد الذى يقدس العقل وحرية الفكر .

وأهم ما نادى به لوثر :

١ — حق كل إنسان فى ممارسة الطقوس الدينية دون مقابل .

٢ — حق كل إنسان فى طلب المغفرة من الله وحده وبقلبه دون وساطة القساوسة .

٣ — حق كل إنسان فى الخلاص عن طريق الإيمان وحده وذلك بالاعتراف والتوبة والصيام أو الحج أو الزكاة وليس بصكوك الغفران .

٤ — أعلن هجومه على البابا واعتبره عدواً للمسيح وأنكر الدعوى القائلة بأن البابا معصوم من الخطأ .

٥ — كان يؤمن بنقل سلطات الكنيسة الخارجية إلى الدولة .

٦ — كان يؤمن بضرورة الفصل التام بين الأمور الدينية الروحية والأمور الدنيوية المادية .

٧ — من المبشرين بتمجيد السلطة السياسية المبدأ المقدس لدى الألمان المحدثين .

٨ — أنكر عقيدة الكاثوليك عن الوجود الفعلى فى القربان .

ويرى البعض أن حركة لوثر بوجه عام حركة مثالية غير عملية أصبحت فى أواخر أيامه حركة سلبية محافظة اقتصر نشاطها على المناطق الريفية .

واقتصر نشاط الكنيسة اللوثرية وانتشارها على المانيا واسكندناوه .

(ب) الكلفنية :

الكلفنية نسبة إلى كلفن (١٥٠٩ — ١٥٦٤) أحد أبناء فرنسا والذى نجح فى نشر مبادىء حركة الإصلاح الدينى فى باقى أنحاء أوربا .

وأهم ما نادى به :

١ — كان يدين بالقدرية .

٢ — يعترف بسرين فقط من أسرار الكنيسة وهما المعمودية والقربان ، والقربان فى نظره حفلة تذكارية ضرورية لتقديم الشكر للسيد المسيح .

٣ — أجاز الربح ورحب بالنظام الرأسمالى والتطور الاقتصادى الجديد ، ولم يجد فى ذلك ما يتعارض والحياة الروحية الصادقة .

٤ — وضع القوانين الكفيلة بحمل الناس على المواظبة على الصلاة واستماع الوعظ وقبول الكلفنية واضطهاد المخالفين للمذهب .

والكلفنية عموما حركة عمليـة تميزت بالحيوية والنشاط والسعى من أجل إعادة بناء الفـرد والكنيسة والدولة وهى حركة سياسية ودينيـة واجتماعية وإقتصادية وتركز نشاطها فى المدن وفى جميع أنحاء أوربا بعكس اللوثرية . وانتشرت بين الموسرين والتجار والصيارفة وأصحاب المهن .

وتركز أكثر نشاط كلفن فى جنيف حتى أصبح للكنيسة البروتستانتية فى جنيف من النفوذ ما يعادل نفوذ الكنيسة الكاثوليكية فى روما .

وما أخذ على الكلفنية قوانينها العقابية الصارمة حتى يقال بأنه فى ظل الكلفنية فى جنيف قد تم إعدام نحو سبعين فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات .

(حـ) البيوريتان :

البيوريتان هم البروتستنت المتطرفون وحركتهم أكثر الحركات البروتستنتية تعصباً . وعلى أيديهم قامت الثورة الكرومويلية وتم إعدام شارل الأول بفصل رأسة عن جسده فى وقت كانت الملكية فيه تحظى بالتقديس والإحترام من كل الشعوب الأوربية .

وقدم البيوريتان العمل والكفاح المستمر على التأمل الذهنى والفكر النظرى وأحلوا المواعظ المتفجرة والأوامر والتعليمات العسكرية محـل طلب الغفران والخنوع المسيحى ، وكان رائدهم المفضل الفيلسوف أفلاطون فى الوقت الذى اعتبروا فيه أرسطو أشد الفلاسفة اليونان كاثوليكية .

وكان مركز ثورتهم الفكرية فى كل من كمبردج وأكسفورد .

وأهم ما كان يميز الحركة البيوريتانية :

١ — كثرة التناقضات .

٢ — كثرة الطوائف .

ومن تناقض فكرهم :

١ — التطرف فى الفردية مع التشبع فى نفس الوقت بشعور اجتماعى قوى .

٢ — التعلق بالرأسمالية وتشجيع الاتجاهات الاشتراكية .

٣ — تشجيع الاشتغال بالمال والمصارف واستنكار جمع الثروة المالية .

هذا ومن الظواهر الهامة للحركة البيوريتانيه اهتمامها بالشئون الاقتصادية ولا مانع لديهم من جمع المال على أن يكون بالكد والعمل ويوقف على السيد المسيح .

وأهم طوائف الحركة البيوريتانية :

١ — المشيخيون .

٢ — المستقلون أو المجلسيون .

٣ — أنصار المساواة .

٤ — الحفارون .

ويرى البعض أن البيوريتان هم أول حزب سياسى حديث ظهر فى المملكة المتحدة وفى عهد الملك جيمس الأول (١٦٠٣ — ١٦٢٥) وظل فترة يعمل كحزب واحد فى الميدان السياسى .

(١) المشيخيون :

ظهر أمر الحزب المشيخى لفترة قصيره فى السنوات الأولى للحرب الأهلية فى إنجلترا .

وكانت أفكارهم ارستقراطية ومحافظة وملكية وإن كانوا يعترضون على سيادة الملك على الكنيسة . ولم يؤيدوا الثورة على الاطلاق وهناك عبارة ساخرة تقول بأن المشيخيين ساقوا الملك شارل إلى حبل المشنقة ولكن المستقلين هم الذين قطعوا رأسه .

(٢) المستقلون :

المستقلون أو الطائفيون أو المجلسيون أكثر طوائف البيوريتان اهتماما

بالشئون السياسية . كانوا كلفنيين فى عقيدتهم الدينية ولكنهم تقدموا خطوة فى طريق الإصلاح الدينى ميزتهم عن المشيخيين .

قرروا أن اصلاح الكنيسة ممكن « بدون إنتظار أحد » على حد عبارة روبرت براون وباستطاعة مجرعة من المسيحيين المؤمنين تكوين كنيسة حقيقية بدون إذن أو ترخيص من السلطة المدنية أو السلطة الكنسية ولكن بمحض اختيارهم وبدون مساعدة السلطات المدنية وطالبوا باستقلال الكنيسة والدولة كمجتمعين منفصلين ودافعوا عن مبدأ التسامح الدينى .

ورغم نشأتهم فى القرن السادس عشر إلا أن عددهم لم يصبح له وزن سياسى إلا فى الاربعينيات من القرن السابع عشر حيث أصبحوا عقب المقاومة ضد الملك .

وبعد الحرب وما جرته من مشاكل إقتصادية ملحة ظهر من بينهم فريق أنصار المساواة فهم فى الاصل مستقلين وإن لم يتحول كل المستقلين إلى أنصار المساواة .

(٣) أنصار المساواة :

حركة سياسية شعبية خرجت من صفوف المستقلين ولذلك كان أتباعها يؤيدون التسامح الدينى ويعارضون كل أنواع التحكم الاسقفى أو المشيخى الكنيسة . وكونوا فى الفتره ما بين ١٦٤٧ و ١٦٥٠ صورة قريبه من الحزب السياسى الحقيقى وكان لديهم مشروع لتعديل الدستور وإن اخفقوا فى تحقيق اغراضهم فقد نجحوا فى وضع اللبنات الاولى للفكر الليبرالى الثورى الذى انتشر فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فهم أصل الإتجاه الديمقراطى الراديكالى . ومن زعمائهم جون ليلبيرن وريتشارد أو فرتن وكان أكثر أتباعهم من الطبقات الفقيرة ولم يغالوا فى تأييد ملاك الاراضى ولاسكان المدن . وكانوا بوجه عام يشكلون الجناح اليسارى من الثوريين فى جيش كرومويل . وفى عام ١٦٤٦ إعتبر ريتشارد أو فرتن « العهد الاعظم » شيئاً حقيراً .

وأهم مبادئهم :

١ — القضاء على الفوارق الإجتماعية والسياسية والمساواة بين جميع الناس فى حق الملكية .

٢ — المؤسسات القانونية والسياسية وجدت لحماية حقوق فطريه منحها قانون الطبيعة للبشر ولايمكن حرمانهم منها .

٣ — استقلال البرلمان وإعادة توزيع مقاعد التمثيل النيابى على أساس عدد السكان وليس على أساس الملكية أو نسبة الضرائب ،

(٤) الحفارون :

حركة محدودة لم يتجاوز اتباعها العشرات نادوا بأن الأرض مشاع للجميع وقانون الطبيعة فى نظرهم يعنى حق عامة الشعب فى وسائل العيش وأهمها الأرض. وأهم آثارهم ما تركه جيرارد وينستانلى الذى وضع مشروعا لقيام حكومه شيوعية فى إنجلترا .

وأهم مبادئهم :

١ — أن تكون ملكية الارض على المشاع وجمع الإنتاج فى مخزن عام مشترك يأخذ كل فرد منه حسب حاجته .

٢ — ينكرون التحريض على العنف أو نزع الملكية بالقوة .

٣ — كانوا شديدى التدين وأساس دعوتهم الشيوعية قولهم بأن « يسوع المسيح هو رأس الدعاة إلى المساواة » .

٤ — عدم المساس بنظام الأسرة .

٥ — تحويل الكنيسة القومية إلى مؤسسة لتربية وتهذيب الشعب .

٦ — من وسائلهم السياسية الأخذ بالاقتراع العام وتحديد مدة تولى المنصب بسنة واحدة .

٧ — ربط الحرية السياسية بالعوامل والاوضاع الاقتصادية .

انتعاش الكاثوليكية :

كان لانتشار البروتستنتية رد فعل فى صفوف الكاثوليك تم التعبير عنه بوسيلتين هامتين :

١ — محاكم التفتيش : أنشأ جريجورى التاسع فى عام ١٢٣٣ ميلادية محاكم التفتيش لمقاومة الزندقة والهرطقة وكل فكر عقائدى مناقض للوضع الكنائسى السائد مهما كان شأنه . وقد أنشئت المحاكم إبان الحروب الصليبية وإبتداء من عام ١٢٥٤ ميلادية أصبح المتهم أمام محاكم التفتيش لا يملك حق الاستعانة بمن يدافع عنه وإذا حكم عليه صودرت كل أملاكه وبلغت أحكامها حد الإعدام بالحرق . وبلغت المصادرة فى فرنسا حد تاج الملك .

٢ — ظهور طوائف دينية كاثوليكية جديدة : وكان ذلك هو رد الفعـــل النظرى والعقائدى فى صفوف الكاثوليك كرد فعل لانتشار المذهب البرتستنتى أى ظهور طوائف دينية أكثر نشاطا وحيوية للدفاع عن الكاثوليكية بحماس وإخلاص .

وأهم هذه الطوائف الجديدة وأشهرها « طائفة الجزويت » .

اليسوعيون « الجزويت » .

أنشأ الطائفة اجناس لويولا (١٤٩١ — ١٥٥٦) وهو رجل أسبانى الأصل أصيب أثناء خدمته العسكرية بعاهة أقعدته عن القدرة على مواصلة الخدمة الحربية فوهب نفسه جنديا للمسيح ورغب فى بادىء الأمر العمل فى بيت المقدس لبعث الروح المسيحية وعهد الحروب الصليبية إلا أن البابا نصحه بتكريس جهوده فى أوربا حيث المسيحية أشد حاجة للخدمة عنها فى آسيا .

وأنشأ حزباً سماه « حزب المسيح » أسسه على الطاعة العمياء وجعل غايته الدفاع عن البابوية وسلطاتها واعتمد فى نشر دعوته على الكتابة والخطابة والتعليم .

وانضم إلى الجماعة عدد لا بأس به من الرجال الأكفاء ونجحوا فعلا فى صد تيار البروتستنتية والحد من انتشارها فى كثير من البلاد .

﴿ حركة الإصلاح الدينى ﴾

والفصــــل بين الدين والسياسة

حركات الإصلاح الدينى وعلى يد البروتستنت خاصة لم تكن تفرق بين دين وسياسة ولو من باب منهجها الحركى . كانت لها مبادئها وأهدافها الدينية كما كان لها أسلوب عملها السياسى . كانت ثورة دينية عارمة كما كانت فى نفس الوقت احتجاجاً سياسياً صارخاً . . تستميل الأمراء وتستعين بسلطتهم الزمنية على الجامدين المتسلطين من رجال الدين .

وإنتعاش الكاثوليكية كرد فعل لظهور البروتستنت بهجومهم العنيف وما أعقب ذلك من صراع دينى بين الطوائف كان محور الحركة التى شغلت المسرح السياسى ككل . . فى الداخل والخارج فى الحرب والسلم فى الفتوحات والمعاهدات . . ديناً ودولة . . حكاماً ومحكومين . . رهباناً وفرساناً . . كرادلة وأمراء .

إلا أن الأهم من ذلك كله .. والذى يعنينا إبرازه والتنبيه إليه بالدرجة الاولى وفى هذا الوقت بالذات .. هو أن حركة الإصلاح الدينى محل البحث كانت تحمل فى باطنها البذرة الأولى وبداية الخيط للنظام الحزبى الحديث ..

والذين يقولون بالفصل بين الدين والسياسة بوجه عام . . وضرورة قيام الاحزاب السياسية على أساس غير دينى بوجه خاص . . فاتهم حقيقة أن الاحزاب السياسية إنما نشأت فى كنف الدين وبسبب الدين وسوف يظل الدين حاضراً ومؤثراً بالإيجاب أو بالسلب وإلى ماشاء الله شئنا أو لم نشأ . .

والنظام الحزبى الحديث بأحزابه السياسية المعاصرة فن من فنون السياسة الراقية وشكل عصرى متطور وناضج لممارسة الديموقراطية سبق إليه واستفاد منه سياسياً الغرب الاوربى المسيحى لاشك فى ذلك ، وحتى لا تكون هذه الفائدة على حساب الدين وحتى تكون الدراسة أمينة وشاملة والعملة بوجهيها بين أيدينا حاضرة لانستطيع ان ننكر حقيقة أن هذه الاحزاب السياسة بدأت دينية

وعلى أساس من الدين وكان الصراع فيما بينهما بسبب مطالب دينية وحول مشاكل تمس الدين .

وفى كل مراحل تطورها كان الدين وما زال من أهم الدوافع القمامية والنفسية وراء حركة الأحزاب السياسية ولم يمنعها ذلك من أن تؤدى رسالتها وتتقدم فى مسيرتها .

رغم كل ما يقال عن الفصل بين الدين والدولة كان الدين حاضراً على الدوام ظاهراً أو باطناً تقديساً أو تحريفاً نفياً أو إقراراً .

والشاهد على ما نقول من واقع حركة الإصلاح الدينى فى الفترة محل البحث وما تلاها وترتب عليها نذكر كالعادة على سبيل المثال فقط وليس على سبيل الحصر :

أولا : حزب البيوريتان :

يرى بعض علماء السياسة أنه أول حزب سياسى نشأ فى المملكة المتحدة فى عهد الملك جيمس الأول (١٦٠٣ — ١٦٢٥) وظل يعمل كحزب واحد فى الميدان السياسى .

هذا الحزب كان من أساسه دينياً قام على أساس صراع دينى ومطالب دينية يختلف فى شأنها مع السلطة الموالية للكاثوليك .

والبيوريتان هم البروتستنت المتطرفون منهجاً وعقيدة يخالفون مذهب الحكومة الرسمى ويعارضون الوظائف الكنيسية الخاضعة الملك وتحملوا الكثير من صنوف الأذى والاضطهاد فى سبيل عقيدتهم فتحدوا الملكية واستبسلوا فى سبيل الدفاع عن مبدأ الحكم الذاتى للكنائس .

وهاجر كثيرون من البيوريتان إلى أمريكا فراراً من اضطهاد السلطة الزمنية وتعقبها لهم . . وكانوا فى أمريكا أساس الحركة السياسية الحديثة .

ثانياً : حزبا الهويجز والتوريز :

حزبا « الهويجز » و « التوريز » أقدم أحزاب إنجلترا السياسية وهما فيما بعد

حزبا « الأحرار » و « المحافظين » الباقيان والموجودان حتى الآن .

وأصل الخلاف الذى دار عليه وقام بسببه الحزبان كان حول مسألة دينية بحتة وهى مسألة « الحرمان » . . حرمان دوق يورك الكاثوليكى من العرش وحرمان الكاثوليك من عضوية مجلس اللوردات .

وحزب الهويجز هم فريق الرؤوس المستديرة الذين ناصروا الحرمان ووقفوا بجوار الشعب ضد الملكية المستبدة وكان شافتسبرى على رأس الهويجز .

أما حزب التوريز فهم فريق المحافظين أو الفرسان الأقدمين الذين يؤيدون تعزيز السلطة الملكية وعدم الاعتراض على مبدأ الوراثة الشرعية والاكتفاء بتحديد سلطات الملك . وكان منهم هاليفاكس .

ومن الفلاسفة الذين نشأوا وتربوا فى ظل الصراع بين الهويجز والتوريز وأثروا وطوروا فى سياسة حزب الهويجز بالذات لوك وبيرك .

وادموند بيرك الأيرلندى المولود فى عام ١٧٢٩ ميلادية كان عضواً بارزاً فى حزب الهويجز وإن مال فى أيامه الأخيرة لبعض الآراء والأفكار المحافظة حتى اعتبره البعض من التوريز . إلا أن الذى لاخلاف عليه أنه من الرواد الأوائل الذين أبرزوا أهمية الدور الذى يمكن أن يقدمه الحزب السياسى . ويطلق عليه البعض فيلسوف الحزب وقبله كان الناس فى حكمهم على الحزب فريقين فريق يراه شراً على طول الخط وفريق يراه للشر الذى لابد منه . أما بيرك فأول من قال بأن الحزب ضرورة هامة ومفيدة للحياة السياسية وقال بأن الأحزاب كانت دائماً موجودة وعلى الدوام سوف توجد . وله تعريفه المشهور للحزب السياسى لاتخلو من التعرض له كل سياسة جادة للنظام الحزبى والأحزاب السياسية . وبينما كان هاليفاكس يؤمن بأن الحزب فى أفضل حالاته نوع من المؤامرة ضد بقية الشعب ونظام الحزب لايتفق وحرية رأى الفرد جاء بعده بيرك ليقول عن الحزب:

« الحزب مجموعة من الأفراد المتحدين لتحقيق الصالح القومى بمساعيهم المشتركة على أساس مبادىء محددة اتفقوا جميعاً عليها » .

الأحزاب السياسية الحديثة

أولا : أحزاب مسيحية معتدلة :

(١) أحزاب سياسية ذات تكوين مباشر :

وأهمها الأحزاب الديمقراطية المسيحية فى الدول التى بها أغلبية كاثوليكية رومانية . وقد نشأت هذه الأحزاب كرد فعل مباشر للصراع العالمى القائم بين الاتجاهين المسيطرين ، الرأسمالى والاشتراكى ، وبناء على تفويضين هامين صدرا من الكنيسة العالمية(١) :

الأول : أصدره البابا ليو الثالث عشر فى عام ١٨٩١ ميلادية ،

والثانى : أصدره البابا بيوس الحادىعشر فى عام١٩٣١ ميلادية .

والفكرة الأساسية التى تدور حولها معانى التفويض أن الرأسمالية ألحقت الكثير من الظلم والأسى بالطبقه العاملة ، كما أن الاشتراكية ليست الحل السليم لمشاكل المجتمع والعمال ، وعلى الجميع البحث عن طريق أفضل لتوزيع الأرباح وتحقيق قدر أكبر من العدالة والمساواة مدركين دائماً أنهم جميعا أبناء الله وأن طلب الغفران والطهارة الروحية خير من جمع الثروة المادية وعليه يجب إعادة النظر فى النظم الاقتصادية القائمة حتى يقوم محلها مجتمع تعاونى مسيحى يرفض ماتنادى به الرأسمالية من حرية فردية مادية متطرفة كما يرفض ما تنادى به الاشتراكية من شيوع مادى جماعى ملحد .

ولاشك فى أن المسيحيـــة ترفض النظام الرأسمالى الربوى واتفقت كلمة رجال الكنيسة على تحريم للربا وقد جاء فى كتاب العهد الجديد :

« إذا أقرضتم لمن تنتظرون منه المكافأة فأى فضل يعرف لكم ؟ ولكن افعلوا

---

(١) النظم الحكوميه المقارنة د . أحمد حامد الأفندى

الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها . وإذن يكون ثوابكم جزيلا »
(إنجيل لوقا الفصل ٦ آية ٣٤ وآية ٣٥)

وقال سكوبار :

« إن من يقول إن الربا ليس معصية يعد ملحداً خارجاً عن الدين »(١)

وقال الآب بوف :

« إن المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا وليسوا أهلا للتكفين بعد موتهم » .

هذا كما أن الاتجاه الالحادى للشيوعية المادية المتطرفة مرفوض من جميع الأديان السماوية .

وعلى أساس التفويضات الكنسية وظهور الاشتراكية المسيحية قامت الأحزاب الديموقراطية المسيحية فى كل الدول الأوروبية والتى بها عدد كبير من الكاثوليك الرومانيين وأهمها فرنسا والمانيا الغربية وسويسرا وإيطاليا .

والحزب الديموقراطى الفرنسى المعروف باسم MRP كثيراً مااستطاع دخول الحكومة الائتلافية .

ولا تتفق كل هذه الأحزاب الديموقراطية المسيحية على تفسير التفويضات البابوية بنفس الكيفية وعلى نفس الدرجة .

ويجمل القول فى هذا الشأن أن الحزب الفرنسى أكثرها ميلا إلى اليسار والحزب الإيطالى إلى اليمين .

وإن كان موريس ديفرجيه يميز بين نوعين من الأحزاب الديموقراطية

---

(١) فقه السنة المعاملات سيد سابق

المسيحية فى أوربا بالنسبة لعلاقتها بالأحزاب المحافظة القديمة : —

١ — النوع الأول : : وهو امتداد بحت لأحزاب المحافظين التقليدية لم يجد عليها غير تغيير الاسم ، مثال ذلك الحزب الهولندى والبلجيكى ، وقريب من ذلك الحزب المسيحى الديموقراطى الألمانى وإن كان يمثل إندماج المحافظين القدامى باتجاهات أخرى معتدلة .

(٢) النوع الثانى : ويتخذ مركزه فى الوسط بينما المحافظون على يمينه مثال ذلك الحزب الفرنسى والحزب الإيطالى .

هذا ويمكن القول بصفة عامة وبجملة أن الكاثوليك أقرب إلى روح المحافظين من البروتستنت .

(٢) أحزاب سياسية ذات تكوين غير مباشر :

وهى الأحزاب التى تأخذ بالتكوين غير المباشر كالأحزاب العمالية إلا أنها تختلف عن الأحزاب العمالية بأنها تضم أفراداً ينتمون لطبقات اجتماعية مختلفة وتجمعهم طائفة دينية واحدة وتتكون من جمعيات تعاونية عمالية مع جمعيات فلاحين واتحادات تجار ورأسماليين

ومن أمثلة الأحزاب الكاثوليكية ذات التكوين غير المباشر :

١ — حزب الشعب النمساوى .

٢ — حزب الكتلة الكاثوليكية البلجيكى .

ثانيا : أحزاب مسيحية متعصبة :

تظهر الأحزاب الدينية المتطرفة فى البلاد التى تتعدد وتختلف فيها الطوائف الدينية أو تقترب من بعضها البعض فى تعداد أفرادها ، وعلى سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وخير الأمثلة على ذلك الوضع القائم فى لبنان وأهم الأحزاب المسيحية المتطرفة فى لبنان هى :

١ — حزب الكتائب اللبنانى .

٣ — حزب الكتلة الوطنية .

وكذلك الوضع القـــائم فى قبرص حيث تسيطر الأحزاب اليمينية الأرثوذكسية .

١ — حزب الكتائب اللبنانى :

وهو يمثل العنصر الطائفى بالنسبة للمورانة وقد تأسس الحزب فى عهد الانتداب الفرنسى فى عام ١٩٣٦ باسم «فلانج» تشبها بالفلانج الاسبانية . ولم يعترف بالحزب رسمياً إلا فى ديسمبر ١٩٤٣ بعد استقلال لبنان .

والحزب يضم أغلبية أبناء الطائفة المارونية وإن كان دستوره لا يمنع من منح العضوية لأبناء الطوائف الأخرى إلا أن تعصب الحزب يجعل من المستحيل انضمام مسلم سنى أو مسيحى أرثوذكسى له .

ومؤسس الحزب هو الشيخ بطرس الجميل وشعار الحزب « الله ، والوطن ، العائلة ويصدر الحزب جريدة يومية هى جريدة « العمل » .

الهيكل التنظيمى للحزب :

يبلغ عدد أعضاء الحزب العاملين والمنتسبين حوالى خمسين ألف شخص ويقدر عدد المنتسبين المغتربين بحـــوالى خمسة آلاف شخص ينتشرون فى البرازيل والأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول غرب أفريقيا وترجع أهمية دور المغتربين للتبرعات التى يقدمونها للحزب .

وللحزب حوالى مائتا فرع ويشترط فى منح العضوية أن يتقدم العضو الجديد بطلب يزكيه عضوان من الحزب وفى أثناء دراسة الطلب يتلقى المرشح الجديد للعضوية دروساً خاصة فى العقيدة الحزبية والتنظيم الحزبى .

والحزب أقرب إلى المنظمة العسكرية ويطلق عليه أحياناً « حزب الشباب » ولأعضاء الحزب زى معين يرتدونه فى مناسبات معينة للحزب .

وشارة الحزب عبارة عن دائرة حمراء مرسوم عليها شجرة الأرز .

اهم تنظيمين للحزب :

١ — المكتب السياسى :

ويتكون من خمسة أعضاء ينتخبهم المجلس المركزى للحزب لمدة سنتين قابلة للتجديد مضافاً إليهم رئيس الحزب ونائبه وأمين عام الحزب ووزراء الحزب ونوابه ومستشاروه .

٢ — المكتب المركزى :

ويتكون من أعضاء المكتب السياسى ولجنة الشبيبه الكتائبيين والمفوضين المنتدبين لإدارة لجان الشابات الكتائبيات ولهذا المكتب صلاحيات واسعة ويجتمع مرة كل أسبوع . وأعضاؤه ينتخبون رئيس الحزب ونائبه وأعضاء المكتب السياسى الخمسة .

ورئيس الحزب ينتخب لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

واهم مبادىء الحزب :

١ — المناداة بطابع طائفى خاص للبنان حيث أن لبنان كما أنه جزء من البلاد العربية فهو فى نفس الوقت جزء من بلاد البحر الأبيض المتوسط ولذلك يجب أن يبقى له طابعه الخاص وهذا الطابع فى رأى رئيس الحزب يجمله أن تبقى المسيحيين فى لبنان أكثرية الوظائف التنفيذية والمقاعد النيابية ولو كان المسلمون أكثرية أو متعادلين فى العدد مع المسيحيين . وإذا رفض المسلمون التسليم بسيطرة المسيحيين فى المجالات التنفيذية والتشريعية فلا يلام المسيحيون بعد ذلك إذا لجأوا للاستعانة بدولة أجنبية كما حدث فى عام ١٨٦٠ وفى عام ١٩٥٨ .

٢ — المناداة بقوميه لبنانية تقدميه علمانيه تؤمن بأن لبنان وطن مستقل بحدوده المبينة فى دستور مايو ١٩٢٦ وتؤمن باحترام جميع الأديان والمعتقدات وترفض أن يكون للدولة دين أو معتقد خاص بها .

٣ ــ يؤمن الحزب فى سياسته الخارجية بالسعى نحـــو السلام والتعاون الدولى عالميا وفى المنطقة يحذر الحزب من " فكرة التوسع العربى ، وخطورتها على لبنان .

٢ ــ حزب الكتلة الوطنية اللبنانى :

وهو حزب مسيحى متطرف أقرب إلى الاحزاب الشخصية حيث أسسه جماعة من الأشخاص تربطهم ببعض مصالح مشتركة انتخابية وعائلية . وهو الحزب المسيحى الثانى فى لبنان إذ ينافس حزب الكتائب على زعامة المسيحيين . وبداية قيامه على أثر النزاع العائلى بين عائلتى « الخورى » و « إده » على كرسى رئاسة الجمهورية من خلال زعامة المسيحيين بلبنان .

وقد تأسس الحزب فى عام ١٩٣٥ ويقرب تعداد أعضائه من عشرة آلاف عضو غالبيتهم من المسيحيين ومن أبرز أعضائه من المؤسسين أميل أده المعروف بتعصبه الذى يؤمن بضرورة صبغ لبنان باللون المسيحى وكان يحذر من أكثرية المسلمين فى لبنان مستقبلا بصورة أوضح وأكثر نظراً لكثرة تناسلهم ويفضل أميل أده أن يظل لبنان محدود العدد على أن يظل مسيحياً . ومن تطرفه أنه كان يصرح علنا بقوله :

« إذا لم يرد المسلمون قبول الوضع الراهن فى لبنان فما عليهم إلا الرحيل إلى الحجاز » ومما صرح به لأحد الصحفيين الأمريكيين قوله :

« لا علاقة له ولا صلة له بالشرق أو العروبة وأنه وجميع الموارنة فى تفكيرهم ولغتهم غربيون » .

وحزب الكتلة يشبه حزب الكتائب فى تعصبه المسيحى وانعزاليته إلا أن العداء قائم بينهما حيث يعملان فى ميدان واحد هو كسب الأنصار من المسيحيين .

وغالبية اعضاء الكتلة الوطنية من سكان المناطق الجبلية فى كسروان ومنطقة الشوف حيث يتميز الأهالى هناك بالتعصب الدينى كرد فعل لما لاقاه سكان الجبل من اضطهاد فى العهد التركى .

وبعد وفاة مؤسسه « إميل إده » حل محله ولداه فى إدارة شئون الحزب وأصبح السيد « ريمون إده » رئيساً للحزب ويستخدم الحزب لفظ « العميد » بدلا من الرئيس .

واهم مبادىء الحزب :

١ — العمل من أجل الوحدة الوطنية بين اللبنانيين من مقيمين ومغتربين وانشاء صندوق وطنى يساهم فيه الجميع لتأمين عودة المغتربين المحتاجين .

٢ — اتباع سياسة اقتصادية اجتماعية تهدف أولا وأخيراً لرفع مستوى معيشة الفرد اللبنانى .

٣ — التعاون مع الدول العربية على أساس المساواة فى السيادة بين جميع الدول واحترام ميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية والتعاون مع البلاد المجاورة فى حدود عدم المساس باستقلال لبنان وسيادته .

٤ — تعزيز شأن المغتربين والاعتراف بجنسيتهم اللبنانية ووضعهم فى عمليات الاحصاء والتمثيل اللبنانى .

٣ — الاحزاب اليمينية فى قبرص :

وتتكون الاحزاب اليمينية فى قبرص كتلة إينوسيس . وقد أطلق اسم إينوسيس فى بادىء الأمر على أول حركة سياسية وطنية ظهرت فى قبرص فى عام ١٨٧٩ وقد تزعمت الكنيسة الحركة ووجهتها . وكان على رأس حركة إينوسيس الوطنية كبير الأساقفة الذى يتم اختياره زعيما للحركة مدى الحياة وتركزت هذه الزعامة فى السنوات الاخيرة فى يد الاسقف مكاريوس .

ولم تعرف الأحزاب السياسية بصورتها الحديثة فى قبرص إلا فى عام ١٩٤٣ حينما زار تشرشل الجزيرة وسمح بانشاء أحزاب سياسية وإجراء انتخابات بلدية .

والغالبية العظمى لاعضاء الاحزاب اليمينية القبرصية من اليونان الارثوذكس وأهم أهداف هذه الاحزاب :

— منح قبرص الحكم الذاتى وحق تقرير المصير .
— السعى الدائب من أجل ضم قبرص لليونان .

وتضم الاحزاب اليمينية فى قبرص أحزاباً سياسية معتدلة أهمها :

١ — حزب الوطنيين.
٢ — حزب المزارعين .
٣ — حزب الاشتراكيين .

كما يوجد بين صفوفها بعض الجمعيات السرية المتطرفة وأهمها :

جمعية أيوكا وأهم أهدافها استخدام العنف فى مقاومة المستعمر البريطانى . ذلك وقد أشرفت الكنيسة بنفسها على الاستفتاء السياسى الذى تم فى ١٥ يناير ١٩٥٠ واشترك فيه ٢٢٤٧٤٧ قبرصياً ووافق ٩٥,٧٪ من مجموع الاصوات أى ٢١٥١٠٨ على ضم قبـــرص إلى اليونان وقامت الكنيسة القبرصيه الارثوذكسية بإعلان نتيجة الاستفتاء على الرأى العام الداخلى والعالمى .

هذا وتبرر الاحزاب اليمينية طلبها ضم قبرص لليونان من واقـــع التوزيع النسبى لتعداد السكان بالجزيرة :

حيث : ٨٠,٢ ٪ من اليونان الارثوذكس
١٧,٩ ٪ من الأتراك القبرصيين .
١,٩ ٪ من اليهود وأديان مختلفة .

ذلك بينما يرى الأتراك فى قبرص أن اليونان دخلاء على الجزيره ويبرزون دور العامل الطبيعى والجغرافى ويقولون إن الجزيرة فى الأصل كانت تابعة لتركيا وأن سكان الجزيرة من الاتراك فى عام ١٩٧٠ كانوا ٦٠٠٠٠ وكان اليونان فى نفس العام ٢٠٠٠٠ فقط ويفضلون ضم قبرص إلى تركيا .

وممـــا ورد فى نص المذكرة التى أرسلها مفتى قبرص إلى سكرتير هيئة الأمم المتحدة عند عرض القضية فى عام ١٩٥٤ قوله :

« ولقد كان بجزيرة كريت ٨٩ ألف تركى اختفوا تحت الحكم اليونانى . وفى « تريس » و « رودس » شدد الأمر على كثير من الاتراك بمغادرة البلاد أثناء الحكم اليونانى . وهذه الاعمال تبرهن على أن الشعب اليونانى شعب لايستطيع السيطرة على شعوره وأمانيه .

إن رغبة الاغلبية ليست هى العامل الذى يحدد مركز إقليم ما . فالعلاقات التاريخية والجغرافية والموقع الاستراتيجى لإقليم ما ينظر لها أيضاً كأهم عوامل فى حالة تقرير مصيره السياسى .

إن جزر « شانل » تعطى أحسن مثل لهذا القول فسكانها قوم من الفرنسيين مع أن إدارتها تحت سيادة بريطانيا (وهى مجموعة جزر تقع شمال غرب فرنسا وتبعد عن ساحل انجلترا أضعاف بعدها عن الساحل الفرنسى)

والأسباب التالية هى أيضاً ضد القول بالمناداة باتحاد قبرص لليونان فإن قبرص لم تكن أبداً جزءاً من اليونان والمسافة بينها وبين اليونان ١١٠ كيلومتر وبالنسبة لوجهة النظر الاستراتيجية فإن قبرص ليس لها علاقة باليونان .

ولم تزد الأغلبية للمتكلمين باليونانية فى قبرص إلا خلال الستين عاما الماضية فقط . فقد كان بالجزيرة عام ١٧٩٠ ميلادية عشرون ألف يونانى فقط فى الوقت الذى كان بها ستون ألف تركى . « وهذه الأرقام مأخوذة من تقرير المسيو دون فيزن قنصل إنجلترا فى قبرص وقتئذ . . وفى عام ١٨٩٦ ميلادية كان تعداد السكان ٢٠٩٢٩١ نسمة ثلثهم من الأتراك والثلثان من غير الأتراك ، ومن ضمنهم كل الأقليات غير التركية . وقد أخذت هـــذه الأرقام من كتاب تاريخ قبرص لفيليب نيومن »

إن الأغلبية اليونانية الحالية بقبرص ليست من القبارصة أصلا إنما هم مواليد المهاجرين الذين حطوا على الجزيرة مستفيدين بضيافة الاتراك .

والحكومة الانجليزية وستون عاما ليست بالمدة الطويلة فى التـــاريخ التى

تستطيع أن تعطى الأغلبية اليونانية القوة فى تغيير سيادة الجزيرة لصالح الدولة التى لم تكن جزءاً منها يعنى اليونان ، ... .

وليس الهدف فى هذا المقام البحث عن حل لهذه المشكلة القبرصية أو تأييد جانب ضد آخر ، ولكن المهم والذى لا يختلف عليه إثنان هو أن الأحزاب السياسية القبرصية واليمينية منها بالذات أحزاب دينية بالدرجة الأولى وقائمة على أساس دينى شكلا وموضوعاً وظل على رأسها أسقف الكنيسة القبرصية الأرثوذكسية حتى مماته . وأهم أهدافها ومبادئها نشكلها وتخطط لها العوامل الدينية وخاصة طلب ضم قبرص لليونان .

﴿ الأحزاب المسيحية الحديثة ﴾

وظاهرة الفصل بين الدين والسياسة

● ما سبق ذكره فى هذا المقام وعلى سبيل المثال من واقع قبرص ولبنان أحزاب سياسية حديثة تعد بالدرجة الاولى أحزاباً دينية وذلك رغم أن ظاهرة الفصل بين الدين والسياسة إنما نشأت وترعرعت فى أحضان الفكر الاوربى المسيحى .

● وإذا كانت الاحزاب الدينية الطابع من هذا النوع تمثل أقلية فإن أحزاب الأغلبية المطلقة وهى الأحزاب الديموقراطيه المسيحية كانت فى أصل نشأتها قائمة على أساس دينى . . على أساس التفويضات الكنسية السابق ذكرها وهذا يعيد إلى الذاكرة ما كان من شأن سابقتها عهداً ونشأة من منطلق دينى أيضا نعنى بذلك أحزاب البيوريتان والهوبجز والتوريز .

● وظلت الأحزاب الديموقراطية المسيحية صاحبة الأغلبية والسيطرة ردحا من الزمان حتى راحت تزاحمها وتنافسها على الزعامة الأحزاب الاشتراكية فالشيوعية .

● وإذا كانت المحصلة النهائية وآخر ما تمخض عنه الفكر العلمانى ومفهوم الفصل بين الدين والسياسة فى بعض البلدان هو سيطرة الأحزاب الشيوعية — وهى أحزاب ملحدة كما هو معلوم تنكر وجود الله وتنكر الدين من أساسه — يصبح الأمر على ذلك إلغاء للدين وبقاء للسياسة وليس مجرد فصل بين الدين والسياسة ومن هنا يصبح من الأهمية بمكان دراسة مفهوم الفصل بين الدين والسياسة دراسة علمية واعية تحلل أسبابه ودوافعه وتدرك آثاره وأخطاره .

الفصل الثالث

الفصل بين الدين والسياسة

ظاهرة الفصل بين الدين والدولة

الأسباب والآثار

أولا : الأسباب الرئيسية للفصل بين الدين والدولة فى المسيحية :

(١) الظروف التاريخية لإنتشار المسيحية :

كان على المسيحية فى بدء ظهورها كدين جديد أن تنتشر وسط الامبراطورية الرومانية الوثنية وكان على المسيحيين الجدد احتمال الكثير من العنت والاضطهاد من جانب السلطة الرومانية وبعد ما كان الفرد فى ظل الحكم الرومانى خاضعاً لسلطة موحدة يتولى الامبراطور فيها السلطتين الدينية والزمنية أصبح المسيحى فى ظل النظام الجديد وبإنتشار الدين الجديد يلتزم بواجبين : واجب دينى نحو الكنيسة وواجب زمنى نحو الامبراطور .

ويمر الصراع بين السلطتين أى بين الكنيسة والدولة بمراحل ثلاث كانت الغلبة فى كل منها لأحد الطرفين حسب الظروف التاريخية الدينية والسياسية .

المرحلة الأولى : وكانت الغلبة فيها والسيطرة للسلطة الزمنية فالمسيحية وقتئذ فى بدء إنتشارها وفى أشد الحاجة إلى مجاملة السلطة وكسب رضاها وحمايتها حتى أن القديس الشهير بولس أسند السلطة إلى الله وقال بأن من يقاوم السلطة فإنما يقاوم النظام الذى أراده الله لأن السلطة مصدرها الله ووجدت بتفويض من الله والأباطرة والأمراء خلفاء الله فى الأرض على شئون العباد كما تقول نظرية الحق الإلهى . وخضعت الكنيسة فى هذه المرحلة للسلطة الزمنية شأنها شأن الأفراد وخاصة فى تحمل الضرائب .

ويقول بولس فى إحدى رسائله :

« أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم

كما للمسيح بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس »(١) .

ويقول فى رسالة أخرى :

« جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه »(٢)

ويكتب إلى تلميذه تيطس قائلا :

« ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا »(٣)

(تيطس ٣ : ١)

المرحلة الثانية : وكانت الغلبة فيها والسيطرة للسلطة الدينية فقد انتشرت المسيحية فى قلب أوربا وظهر النظام البابوى وعلا شأنه وخاصة فى عصر البابا جريجوار السابع واستندت البابوية فى تقرير سمو السلطة الدينية إلى أسباب عديدة أهمها :

أن السلطة الدينية تسيطر على الروح أما السلطة الزمنية فتسيطر على الجسد والروح أسمى من الجسد فأسمى غايات الإنسان أن يتحرر من الخطيئة ووضعت البابوية نظريتها المشهورة والمعروفة « بنظرية السيفين » ومؤداها أن الله خالق الحكم العالم سيفين أحدهما روحى سلمه للبابا والثانى زمنى سلمه للامبراطور عن طريق البابا وعلى ذلك فمباشرة الامبراطور لسلطانه إنما تتم بتفويض من البابا وللبابا أن يحل الفرد من طاعته وأن يسلبه سلطانه ويجرده من صفته الدينية .

---

(١) المسيحية د . أحمد شلبى .

(٢) » » » »

(٣) » » » »

وقررت الكنيسة اعتبار البابا النائب الأول عن صاحب الشريعة له جميع السلطات فى الدولة كما له الولاية العامة على جميع العباد ويرث هذا الحق عن طريق القديس بطرس مؤسس الكنيسة الذى ورثه بدوره عن السيد المسيح .

واستخدمت الكنيسة سلطاتها الواسعة للتعبير عن سيطرتها على السلطة الزمنية وأهمها حق البابوية فى توقيع عقوبة الحرمان الفردى والجماعى . .

والحرمان الفردى: يعنى طرد الفرد من المجتمع المسيحى فلا يسمح له بالإختلاط والتعامل إلا مع زوجته وأولاده وقد استخدمت العقوبة فى أغراض سياسية ضد هنرى الرابع وفردريك الأول .

والحرمان الجماعى: مثل الحرمان الفردى إلا أنه يوقع على مجتمع بأكمله كقرية أو مدينة أو إقليم فتغلق الكنائس أبوابها داخل المجتمع الذى وقعت عليه العقوبة .

المرحلة الثالثة : وقد طغت الكنيسة وبغت وشاعت مفاسدها متمثلة فى بيع صكوك الغفران وإصدار قرارات الحرمان بالحق والباطل والحكم بالهرطقة وإنتشار محاكم التفتيش الأمر الذى ترتب عليه قيام حركة الاصلاح الدينى واستعادة السلطة الزمنية لنفوذها كرد فعل طبيعى لطغيان الكنيسة والبابوية إلا أن الصراع انتهى هذه المرة وفى هذه المرحلة على أن تقتصر السلطة البابوية على الشئون الدينية وتستقل السلطة الزمنية بالشئون السياسية ويتقرر بذلك نهائياً فصل الدين عن الدولة .

(٢) الاعتقاد المسيحى المبنى على ظاهر النص :

إذ يعتقد المسيحيون أخذاً بظاهر النص أن مملكة السيد المسيح ليست فى هذا العالم وأن مملكة الله لله ومملكة قيصر لقيصر .

ومن المأثور عن السيد المسيح قوله :

« دع مالقيصر لقيصر وما لله لله »

ومن أقوال السيد المسيح :

« ليست مملكتى فى هذا العالم »

كما يروى عن السيد المسيح قوله :

« إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » .

(متى ١٩ : ١٦ – ٢١)

« من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى ومن أحب ابناً أو ابنه فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى ومن أضاع حياته من أجلى سوف يجدها » .

« من ترك بيوتاً أو حقولا من أجل اسمى يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية » .

« للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه » .

والأخذ بظاهر هذه النصوص لا يؤدى إلى مجرد فصل الدين عن الدولة بل وإلى عزلة الدين وأصحابه وإلى أكثر من ذلك إلى الرهبنة وحياة الأديرة .

(٣) التشريع فى المسيحية :

لم تأت المسيحية بتشريع جديد ولم يبعث المسيح عليه السلام مشرعاً وإنما فى مجال التشريع بعث مقرراً لما جاء قبله من تشريع فى العهد القديم وروى عن السيد المسيح قوله :

« إنى لم أجىء لأغير الناموس ولكن لأقرر » .

وراح اليهود يسألونه فى جموع السامعين عن مسائل شتى عله يفتى بما يمكن أن يخالف الشرع القائم أو ينساق إلى مجاملة السلطة فكانت قدرته الربانية الخارقة على الردود السريعة المسكتة طبقاً لرسالة حددها المولى وأقامها على اجتناب التشريع أو التعرض له إبطالا أو إبدالا :

جاءه أحدهم فى جمع من الناس يقول له :

« أيها المعلم : مُــرْ أخى يقاسمنى الميراث .

فما زاد السيد المسيح على أن قال له :

« أيها الإنسان من أقامنى عليكما قاضياً أو حسيباً ؟ » .

وجاءه جمع من الكتبة والفريسيين بامرأة يدفعونها أمامه ويقولون :

— أيها المعلم هذه امرأة أخذت وهى تزنى . وقد أوصانا موسى أن نرجم الزانية فماذا تقول أنت ؟

فما زاد على أن قال لهم :

« من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم وليرمها بحجر » .

ونصبوا له شركاً سياسياً يتورط فيه مع السلطة فسألوه عما يجب عليهم صنعه : إعطاء الجزية أم عصيان الدولة ؟ فأراهم أن ما يتعاملون به من نقود إنما هى نقود قيصر وما زاد على أن قال لهم :

« دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

ورغم ذلك وبعد المسيح عليه السلام بفترة قصيرة كانت هناك محاولات للتشريع المسيحى من جانب الرسل والرؤساء الروحانيين والكنائس والمجامع وكان للقديس بولس دور كبير فى هذا الشأن . إلا أن هذه المحاولات التشريعية وفى المرحلة الثالثة المسيحية لم تكن تفى بحاجة العصر ولو اقروا واعتنقوا التشريع الوارد فى العهد القديم وما داموا لا يعترفون برسالة سماوية بعد المسيح عليه السلام فإن رصيدهم كله لم يكن ليسد حاجة الدولة التى تشعبت شئونها وتعقدت وكثرت فيها الوظائف وتعددت وتفرعت التخصصات الأمر الذى يتحتم معه من وجهة نظرهم فصل الدين عن الدولة واستقلال الدولة بالتقنين والتشريع فى شتى الشئون الزمنية .

(٤) النهضة العلمية واستقلال الجامعات :

لم تكن النهضة العلمية الحديثة فى الغرب لتتم بغير إستقلال الجامعات وانطلاق عملية البحث فى شتى العلوم الكونية غير مهددة أو مقيدة برأى الكنيسة التى اتهمت كل مخالفة لها بالهرطقة واستعملت القتل والحرق وأقامت محاكم التفتيش لرواد النهضة العلمية ، وأحرقت كتب أبيلارد وسجن حتى الوفاة وأحرق كل من يوحنا هوس وجيروم .

وكان أمراً طبيعياً أن يقف رجال الفكر ورواد عصر التنوير والمثقفون مع فصل الدين عن الدولة ولو من باب الهروب من اضطهاد الكنيسة والنجاة من قيود السلطة الدينية .

(٥) ظهور الدولة القومية :

وكان ظهور الدولة القومية والقتال دونها مرتبطاً بل وداعياً أكثر إلى ضرورة استقلال السلطة الزمنية عن السلطة الدينية والتحرر من سطوة البابوية وتفتيت الكنيسة العالمية إلى كنائس إقليمية مستقلة تحت إشراف الملوك .

وظلت فكرة الدولة القومية مرتبطة حتى الآن بالمذهب العلمانى وبالفصل بين الدين والدولة وأكثر الأحزاب القومية تدعو إلى ذلك وتدرجه فى خططها وضمن برامجها .

(٦) التحول الإجتماعى والإقتصادى :

والتحول الاجتماعى الذى وقع فى المرحلة الثالثة من مراحل انتشار المسيحية والذى ساعد على فصل الدين عن الدولة هو ظهور الطبقة البورجوازية المتوسطة التى عملت بالتجارة وكان يعنيها بالدرجة الأولى أن تحل محل طبقة الأشراف المؤيدة للبابوية فى صراعها .

والطبقة البورجوازية التى تطورت إلى طبقة رأسمالية من خلال الأعمال التجارية الفردية الحرة القائمة أساساً على التعامل الربوى لا تتورع عن أداء أى عمل يؤدى إلى الكسب من مضاربة ومقامرة وإحتكار مما يترتب عليه تأييدها

المطلق ومساندتها لمبدأ الفصل بين الدين والدولة حتى تنطلق فى معاملاتها غير مقيدة بما يمليه رجال الدين من تحريم أو تحليل . وكانت الغلبة مع الوقت للسلطة الزمنية وكان التراجع من جانب السلطة الدينية حتى جاء وقت لم يعد فيه لرجال الدين شأن بالسياسة المالية . بل وجاء اليوم الذى يصدر فيه البابا منشوراً ينص على منع رجال الكنيسة من التعرض لناحية الاستثمارات المالية الأمر الذى يتفق تماما بل ويشجع ويؤيد مبدأ الفصل بين الدين والسياسة .

وحول مشكلة الربا وتطورها فى خضم الصراع الدائر بين الدولة والكنيسة يقول الدكتور عيسى عبده :

« كان طبيعياً إذاً أن تبقى مشكلة الربا شائكة إلى القرون القريبة وإبان عصر النهضة . واستمرت الحال كذلك حتى ثارت المشكلات فى مناسبات دينية : كالإعتراف ، إذ كان القس يسأل المعترف والمعترف يجيب أو يلجمه الحرج ، ولذلك رأت روما أن تصدر تعليماتها المشددة إلى الآباء الذين يخدمون كرسى الإعتراف بألا يمسوا الناحية المالية فى أسئلتهم . بمعنى أن يغضوا الطرف تماما عن ماهية الاستثمارات التى مارسها المعترف بخطاياه . وصدر بهذه التعليمات منشور بابوى فى سنة ١٨٣٠ » .

(٧) النصوص الشاذة والمحيرة فى الكتاب المقدس :

وهى نصوص محيرة من حيث أنها أجهدت بلا شك العقل المسيحى المنطلق والفكر الإنسانى الخلاق والمتحرر والباحث عن الحقيقة بغير قيود مع طلائع عصر النهضة وإشراقة عصر التنوير .

وأمام هذا النوع من النصوص لا يسع الدارس الأمين غير المتحيز إلا أن يسلم بأن يداً مغرضة امتدت لأصل النص فبدلت وحرفت فيه لهوى فى النفس . أو أن يرفض الدارس قضية الدين والوحى برمتها وينطلق فى ركب الفلسفات الوضعية الملحدة والنظريات المادية البحتة . أو يقبل بالحل الوسط كبداية مريحة لشتى الأطراف وهو العمل بمبدأ الفصل بين الدين والدولة وتصبح على ذلك علاقة الله بكتابها المقدس ، وما يدور حوله من تعقيدات وتحريفات أصلا

ونصاً واعتقاداً . وملك قيصر لقيصر منطلقة بغير قيود غير خاضعة لأى نوع من الوصايات وكان «كانت» يقول «التنوير هو الافراج عن الإنسان من الوصايات التى فرضها هو على نفسه» .

وكان «كانت» يعتقد فى نفس الوقت أن الوصاية الدينية هى أرزل الوصايات وأشدها ضرراً .

● ومن هذه النصوص الشاذة المحيرة ما هو سرد لانحرافات أخلاقية بشعة ومتكررة فى بيوت صفوة الخلق من أنبياء الله المرسلين كوقوع الزنا بين المحارم

● ومنها ما يعد دعوة سافرة لتبرير الوسيلة مهما كانت منحطة فى سبيل الوصول للغاية المنشودة بأى ثمن .

● ومنها مايعد خطأ علمياً يسهل إدراكه ما كان ليقع فى كتاب مقدس ما لم تمتد لهذا الكتاب يد مغرضة تحرف وتبدل وتحذف وتضيف لهوى فى النفس .

١ — ومما ورد فى مجال الانحرافات الاخلاقية البشعة وعلى سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

● ورد فى التكوين الاصحاح التاسع عشر من ٣٠ — ٣٧ فى أمر نبى الله لوط مع بناته :

« وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر . فسكن فى المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر إبناً ودعت إسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بنى عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم » .

● ورد فى التكوين «الاصحاح الخامس والثلاثون» — ٢٢ .

«وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه . وسمع إسرائيل» .

● ورد فى صموئيل الثانى الاصحاح الحادى عشر من ٢ — ٤ فى سيرة نبى الله داود :

«وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى . فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها» .

● ورد فى الملوك الأول . الاصحاح الأول فى سيرة نبى الله داود أيضاً :

«وشاخ الملك داود . تقدم فى الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك . ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم اسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك . وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها» .

● ورد فى صموئيل الثانى الاصحاح الثالث عشر من ١١ — ١٥ فى أمر أمنون وثامار أبناء نبى الله داود :

«فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع . وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى ياأختى فقالت له لا ياأخى لاتذلنى لأنه لايفعل هكذا فى اسرائيل لاتعمل هذه القباحة . أما فأنا فأين أذهب بعارى وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى اسرائيل . والآن كلم الملك لأنه لايمنعنى منك فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها» .

٢ — ومما ورد فى مجال الدعوة السافرة لتبرير الوسيلة فى سبيل الوصول للغاية بأى ثمن ومهما كانت الوسيلة منحطة نصوص عديدة يصعب هضمها كما يصعب تصور وقوعها على صفحات كتاب مقدس تسلم وتنسب لأبطالها التحلى بصفات خلقية منحطة كالكذب والخداع وعدم الوفاء وأكثر هؤلاء الأبطال من الأنبياء وأبنائهم .

وعلى سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

● ورد فى التكوين « الاصحاح السابع والعشرون » من ١١ — ٣٥ .

« فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس . ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة . فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى اسمع لقولى فقط واذهب خذلى فذهب وأخذ وأحضر لامه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الاصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعزى وأعطت الاطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبى . فقال هانذا من أنت يا ابنى فقال يعقوب لابيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى . قم إجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك فقال إسحق لابنه ماهذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى فقال إن الرب إلهك قد يسر لى . فقال اسحق ليعقوب تقدم لاجسك يا ابنى . أأنت هو ابنى عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه فباركه وقال هل أنت هو ابنى عيسو . فقال أناهو فقال قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى . فقدم له فأكل . وأحضر له خمراً فشرب . فقال له اسحق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى . فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه . وقال أنظر . رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين . وحدث عندما فرغ إسحق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه أن عيسو اخاه أتى من صيده . فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها الى أبيه وقال لابيه ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك . فقال له اسحق أبوه من أنت . فقال أنا إبنك بكرك عيسو فارتعد اسحق ارتعاداً عظيماً جداً وقال فمن هو الذى اصطاد صيداً وأتى به إلى فأكلت من الكل قبل أن تجىء وباركته . نعم ويكون مباركا . فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا . وقال لابيه باركنى أنا أيضاً يا أبى فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » .

● ورد فى التكوين « الاصحاح الرابع والثلاثون » :

« وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض . فرآها شكيم ابن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها » .

إلا أن شكيم بن حمور كما ورد فى الإصحاح تعلقت نفسه بدينة وأحبها وطلب من أبيه أن يأخذها له زوجة وخرج حمور إلى يعقوب ليتكلم معه فى مصاهرته والسكن معه والمتاجرة والتملك بأرضه ولهم أن يطلبوا من المهر ما يشاءون . فكان رد بنى يعقوب كما جاء فى نفس الإصحاح :

« فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا : لأنه كان قد نجس دينة أختهم . فقالوا لهما : لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطى أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا ، غير أننا بهذا نواتيكم . إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً . وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضى » .

وهكذا طلب بنو يعقوب الختان كشرط لقبول المصاهرة ولكنهم بمكر وخبث حسب ما هو وارد فى الكتاب المقدس كانوا يبيتون أمراً آخر كما جاء فى نفس الإصحاح الرابع والثلاثين حيث ورد من ٢٥ — ٢٩ وبعد ما اختتن كل ذكر من مدينة حمور وابنه شكيم :

« فحدث فى اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر . وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف وأخذا دينا من بيت شكيم وخرجا . ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة وما فى الحقل أخذوه . وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت » .

● ورد فى التكوين . الإصحاح الثامن والثلاثون من ١٢ — ٢٦ :

« ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا . ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جزاز غنمه إلى تمنه هو وحيرة صاحبه العدلامى فأخبرت ثامار وقيل لها : هو ذا حموك صاعد إلى تمنه ليجز غنمه . فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع .

وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها فمال إليها على الطريق وقال : هاتى أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت : ماذا تعطينى لكى تدخل على . فقال : إنى أرسل جدى معزى من الغنم . فقالت : هل تعطينى رهنا حتى ترسله . فقال : ما الرهن الذى أعطيك . فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك . فأعطاها ودخل عليها . فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها ، فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامى ليأخذ الرهن من يد المرأة فلم يجدها . فسأل أهل مكانها قائلا : أين الزانية التى كانت فى عينايم على الطريق . فقالوا : لم تكن ههنا زانية . فرجع إلى يهوذا وقال : لم أجدها . وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية . فقال يهوذا : لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة . إنى قد أرسلت هذا الجدى وأنت لم تجدها . ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له : قد زنت ثامار كنتك وها هى حبلى أيضاً من الزنا . فقال يهوذا : أخرجوها فتحرق . أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة ابنى . فلم يعد يعرفها أيضا » .

● ورد فى صموئيل الثانى الاصحاح الحادى عشر فى سيرة نبى الله داود وما لجأ إليه للتخلص من أوريا الحثى زوج المرأة التى رآها داود تستحم وهو على السطح وأخذها واضطجع معها :

« وفى الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب يقول . إجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت » .

٣ — ومما ورد ويعد من الأخطاء العلمية كثير نذكر منه على سبيل المثال أيضاً وليس على سبيل الحصر :

● ورد فى اللاويين الاصحاح الحادى عشر : ٦ .

« والأرنب لأنه يجتر لكنه لايشق ظلفاً فهو نجس لكم » .

والأرنب كما هو معروف غير مجتر .

● ورد الحكم الشرعى ونقيضه فى نفس الوقت . فقد ورد فى سفر اللاويين الاصحاح الثامن عشر : ٩ تحريم الزواج بالأخت من الأب أو الأم .

« عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجاً لاتكشف عورتها » .

وفى قصة ثامار وأخيها أمون ابنى داود فى صموئيل الثانى فى الاصحاح الثالث عشر : ١٣ — ورد نقيض ذلك :

« أما أنا فأين أذهب بعارى وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى إسرائيل والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك » .

كما ورد الحكم ونقيضه أيضاً بخصوص مسئولية الأبناء عن ذنوب الآباء .

فقد ورد فى سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين « ٧ » :

« مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع » .

وورد فى سفر العدد الإصحاح الرابع عشر «١٨» نفس المعنى ونفس الحكم :

« الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرىء بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » .

ثم يرد نقيض ذلك الحكم فى سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر « ٢٠ » :

« النفس التى تخطىء هى تموت . الإبن لا يحمل من إثم الأب والأب لايحمل من إثم الإبن . بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » .

كما يسهل إدراك الخطأ والتناقض فى سرد الوقائع التاريخية وهو واضح فى سفر الملوك الثانى حيث ورد فى الإصحاح الأول «١٧» :

« فمات حسب كلام الرب الذى تكلم به إيليا . وملك يهورام عوضاً عنه فى السنة الثانية ليهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا لأنه لم يكن له إبن » .

وورد فى الاصحاح الثالث من نفس السفر (١) .

« وملك يهورام بن أخاب على إسرائيل فى السامرة فى السنة الثامنة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا ملك اثنى عشرة سنة » .

ثم يرد فى نفس السفر الاصحاح الثامن (١٦) .

« وفى السنة الخامسة ليورام بن أخاب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا » .

وورد فى نفس السفر الاصحاح الثامن أيضاً (٢٦) .

« كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك وملك سنةواحدة فى أورشليم واسم أمه عثليا بنت عمرى ملك إسرائيل» .

إلا أن الخبر ورد فى أخبار الايام الثانى الاصحاح الثانى والعشرين (٢) على الوجه التالى :

« كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة فىأورشليم واسم أمه عثليا بنت عمرى » .

● والحق أن الاخطاء والمفارقات الواردة فى حساب السنين لاحد لها نكتفى منها فى المجال بمثال واحد نستعيره من رسالة الفيلسوف اسبينوزا فى اللاهوت والسياسة حيث يقول :

« يذكر الاصحاح (٦) منسفر الملوك الأول (١) أن سليمان بنى المعبد بعد الخروج من مصر بأربعمائة وثمانين عاماً مع أننا طبقاً للروايات نفسها نجد عدداً من السنين أكبر بكثير والواقع أن :

١ — موسى حكم الشعب فى الصحراء ٤٠ عاماً

٢ - يروى يوسف وبعض المؤرخين أن حكم يشوع الذى عاش مائة وعشر أعوام لم يزد عن	٢٦ عاما
٣ — أخضع كوشان رشعتايم الشعب	٨ أعوام
٤ — كان عتنئيل بن قاناز قاضيا	٤٠ عاما
٥ — حكم عجلون ملك مؤآب الشعب	١٨ عاما
٦ — كان أهود وشمجر قضاة	٣٠ عاما
٧ — أخضع يابين ملك كنعان الشعب من جديد	٢٠ عاما
٨ — عاش الشعب بعد ذلك فى سلام	٤٠ عاما
٩ — خضع بعد ذلك للمدنيين	٧ أعوام
١٠ — ثم عاش حراً تحت أمرة جدعون	٤٠ عاما
١١ — وتحت حكم أبيملك	٣ أعوام
١٢ — وكان تولع بن فوأة قاضيا	٢٣ عاما
١٣ — ياعير	٢٢ عاما
١٤ — خضع الشعب من جديد للفلسطينيين وبنى عمون	١٨ عاما
١٥ — كان يفتاح قاضيا	٦ أعوام
١٦ — ابيصان من بيت لحم	٧ أعوام
١٧ — أيلون الزابولوفى	١٠ أعوام
١٨ — عبدون الفرعوقى	٨ أعوام
١٩ — خضع الشعب من جديد للفلسطينيين	٤٠ عاما
٢٠ — كان شمشون قاضيا	٢٠ عاما
٢١ — عالى	٤٠ عاما
٢٢ — خضع الشعب من جديد للفلسطينيين قبل أن يحرره صموئيل	٢٠ عاما

٢٣ — حكم داود ٤٠ عاما

٢٤ — وسليمان قبل بناء المعبد ٤ أعوام

فيكون مجموع الأعوام التى انقضت ٥٨٠ عاما

ويصل اسبينوزا فى النهاية إلى استنتاجه الذى يقول فيه :

« من هذا كله نستنتج بوضوح تام أننا لانستطيع أن نقيم حساباً زمنياً مضبوطاً للسنوات معتمدين فى ذلك على الروايات نفسها وأن دراستها لاتؤدى بنا إلى التسليم بصحة واحدة منها بل إلى وضع افتراضات مختلفة فيجب إذن أن نسلم بأن هذه الروايات مجموعة من القصص مستمدة من مؤلفين عديدين ثم جمعت قبل ترتيبها وفحصها »

والحق أنه لم يعد يختلف اثنان على أن بعض الأيدى المغرضة قد امتدت للكتاب المقدس بعهديه فحرفت فى نصوصه وبدلت وغيرت فى وقائعه وأحداثه .

وفى ذلك يقول الفيلسوف اسبينوزا :

« والحق أنه لو كان الناس صادقين فى شهادتهم بصحة الكتاب لكان لهم أسلوب فى الحياة مختلف كل الاختلاف ولما اضطربت نفوسهم بكل هذه المنازعات ولما تصارعوا بمثل هذه الكراهية ولما تملكتهم هذه الرغبة العمياء الهوجاء فى تفسير الكتاب وكشف البدع فى الدين ، بل لما جرءوا على أن يؤمنوا برأى لم يدع إليه الكتاب بوضوح تام على انه عقيدة فى الكتاب وأخيراً لامتنع مدنسو المقدسات الذين لم يتورعوا عن تحريف الكتاب فى مواطن كثيرة عن ارتكاب مثل هذا الجرم ولما وضعوا عليه أيديهم الدنسة » .

ويقول أيضاً :

« إن كل ما يرويه الكتاب على أنه حدث بالفعل قد حدث بالضرورة طبقاً لقوانين الطبيعة شأنه شأن كل ما يحدث وإذا وجدنا حادثة ما نستطيع أن نوقن بأنها تناقض قوانين الطبيعة أو بأنها لم تصدر عنها فيجب أن نعتقد أنها إضافة إلى الكتب المقدسة أقحمها العابثون بالمقدسات » .

وعن التحريف فى العهد الجديد يقول شارك جينيبر أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس :

« وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى « تركيبات » واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ولم يستلهموا تاريخا ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه » .

● وليس الهدف فى هذا المجال هو الخوض فى نقد الكتب المقدسة بالبحث والتنقيب لاكتشاف النصوص المحرفة والأحداث الملفقة ورد النص لأصله .. بقدر ما يهمنا بالدرجة الأولى تقرير حقيقة هامة وهى أن رواد نقد الكتب المقدسة نقداً تاريخياً ومنهجياً وعلمياً هم فى نفس الوقت رواد الدعوة إلى فصل الدين عن السياسة . وعلى رأسهم على سبيل المثال الفيلسوف اسبينوزا أحد رواد الفلسفة الحديثة وحامل لواء الدعوة النقدية الفلسفية فى القرن السابع عشر . واسبينوزا فى عمله الشهير « رسالة فى اللاهوت والسياسة » يبرهن على أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة . بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

ويرى بأن سفر القضاة لا يمكن أن يعتقد عاقل بأن القضاة قد كتبوه

بأنفسهم فنهاية القصة فى الاصحاح ٢١ تبين بوضوح أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتب السفر كله .

ورغم تناول إسبينوزا للكتاب المقدس بالنقد التاريخى والعلمى إلا أنه يؤمن فى نفس الوقت بأن الدروس الأخلاقية ومعظم الروايات التاريخية فى الكتاب قد وصلت إلينا بدون تحريف مع أن النصوص التى اخترناها واستشهدنا بها فى بداية القول وعلى سبيل المثال تمس الناحية الأخلاقية وكلها من الروايات التاريخية .

وعلى أى حال فإن اسبينوزا يقرر فى رسالته بالحرف الواحد وفى وضوح تام قائلا :

« والواقع أن الكتب المقدسة ليس لها مؤلف واحد ولم تكتب للعامة الذين عاشوا فى عصر بعينه بل هى من عمل عدد كبير من الناس ذوى أمزجة مختلفة عاشوا فى عصور مختلفة وإذا أردنا أن نحصى العصور التى تفصل بينها وجدناها ألفى عام وربما أكثر » .

ومن الحقائق التى يستنتجها اسبينوزا فى رسالته (١) :

● لم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص فى عصر واحد يسرى على كل الأزمان بل جاء تدوينها مصادفة وقصد بها أناس معينون ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر والتكوين الشخصى لهؤلاء الناس . . .

● تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى تم جمعها وأقرها مجلس الفريسيين . وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة المقننة بقرار بعض المجامع الكنسية التى رفضت فى الوقت نفسه أسفاراً أخرى كثيرة بوصفها منعدمة القيمه مع أن كثيراً من الناس كانوا يقدسونها على أن أعضاء هذه

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة سبينوزا ترجمة د . حسن حنفى .

المجامع الكنسية سواء مجامع الفريسيين أم مجامع المسيحيين لم يكونوا أنبياء بل كانوا من ذوى الخبرة والفقهاء فحسب . . . .

● لم يكتب الحواريون . . . بوصفهم أنبياء بل بوصفهم فقهاء .

● وأخيراً فهناك أربعة أناجيل فى العهد الجديد ومن منا يستطيع أن يعتقد أن الله أراد أن يقص سيرة المسيح وأن يبلغها للبشر أربع مرات ؟

لاشك أنه توجد فى كل انجيل أشياء معينة لاتوجد فى غيرها وأن كل انجيل يساعد فى فهم الآخر . ومع ذلك لاينبغى أن نستنتج من ذلك أن من الضرورى معرفة كل ما يرويه كتاب الأناجيل الأربعة وأن الله قد اختارهم كتابا حتى يعرف الناس سيرة المسيح على نحو أفضل . . . » .

إسبينوزا الذى يقرر ذلك كله ويستنتجه علميا ومنهجياً على صفحات رسالته يصل فى نهاية الرسالة نفسها إلى غايته النهائية والمنشودة إلى الدعوة للفصل بين الدين والدولة . ويقول بعدم ملاءمة نظام الحكم التيوقراطى فى الظروف الحاضرة إلا لشعب معزول ومغلق على نفسه وفى ذلك يقول :

« لا يلائم نظام الحكم التيوقراطى إلا شعبا معزولا يريد أن يعيش دون علاقات مع الخارج مغلقاً على نفسه داخل حدوده ومنفصلا تماما عن باقى العالم لاشعبا يدخل بالضرورة فى علاقات مع الشعوب الأخرى » .

وأكثر من ذلك ينادى سبينوزا بضرورة منح السلطة الزمنية الرئاسة والريادة على السلطة الدينية وحق السلطة الزمنية فى إصدار القوانين المتعلقة بالشئون الدينية . فيقول :

« عندما قلت سابقاً : إن لأصحاب السلطة الحق فى تنظيم كل شىء وأن كل قانون رهن بإرادتهم لم أكن أعنى القانون المدنى وحـــده بل كنت أعنى

أيضاً القانون المتعلق بالشئون الدينية الذى ينبغى أن يكونوا هم أيضاً المفسرين له والمدافعين عنه ».

ويقول أيضاً :

« إن الدين لا يكتسب قوة القانون إلا بإرادة من لهم الحق فى الحكم وأن الله لا يباشر حكماً خاصاً على البشر إلا بواسطة أصحاب السلطة السياسية » .

ويقرر سبينوزا فى نهاية رسالته قائلا:

« لو أردنا أن نضمن سلامة الدولة فيجب أن نجعل التقوى والدين مقتصرين على ممارسة العدل والاحسان كما يجب أن ينصب تشريع السلطة العليا فى المجالين الدينى والدنيوى على أفعال الرعايا وحدها وأن يترك لكل فرد حريته فى التفكير والتعبير » .

(٨) المخططات اليهودية العالمية :

لا شك أن التخطيط اليهودى العالمى كان يزكى ويبارك ويهدف أساسا إلى نشر مبدأ فصل الدين عن الدولة فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تضطهد اليهود إلى حد عزلهم تماما عن كل المراكز المرموقة والحساسة داخل المجتمعات الأوربية ومعاملة رعاياهم بقسوة حتى انكمشوا على أنفسهم فى مجتمع « الجيتو » .

وفى اضطهاد اليهود على يد المسيحيين يقول برتراند رسل :

« ولم يكن لليهود خلال العصور الوسطى نصيب فى ثقافة الأقطار المسيحية إذ بلغ اضطهادهم حداً من القسوة لم يستطيعوا معه أن يضيفوا إلى نتاج المدنية نتاجا جديداً إذا استثنينا إمدادهم رؤوس الأموال لبناء الكنائس وما إلى ذلك من مشروعات ولم يلق اليهود معاملة رحيمة فى ذلك العهد إلا بين المسلمين ولذا استطاعوا هناك أن ينصرفوا إلى الفلسفة وضروب التفكير المستنير (١) »

---

(٤) تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثانى برتراند رسل .

لذلك كان طبيعياً أن يصبح ضمن مخططات اليهودية العالمية تأييد عزل الدين عن الدولة حتى يتمكن أبناؤهم من التدخل فى سياسة الدول والمشاركة والتخطيط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى لمستقبل الأمم المسيحية والإسلامية تمهيداً للوصول إلى اهدافهم القومية على المدى البعيد . كما كانوا وراء تحريك عاملين آخرين ساهما فى عزل الدين عن الدولة وهما ظهور القوميات وتحول المجتمعات إلى حالة البورجوازية التجارية .

ويقول بازنب لينفيون :

« إن اليهود يرفضون سيطرة الدين على الدولة أو الكنيسة على الدول لأن هذا معناه أن تصبح الديانة المسيحية مفروضة على أولادهم لذلك كانوا أول من نادى بفصل الكنيسة عن الدولة فى أمريكا » .

ويقول أنور الجندى فى كتابه « المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية » :

« وكانت وصية موسى مندلسن — المفكر اليهودى الأول « كخطة العمل : الإتجاه إلى القومية دون النظر فى أمر الدين وأن على المواطن الاورفى أن يصرف النظر عن الدين وأن يتمتع بحرية الفكر وكان هـذا فى الواقع هو منطلق اليهود لتدمير قيود الدين والكنيسة لينفتح أمامهم الطريق عن طريق القوميات والوطنيات وقد ذهبوا فى ذلك من بعد مذهباً قضى على وحدة أوربا المسيحية وأقام بدلا منها القوميات المتصارعة التى حققت لهم سيطرة أكبر على مجالات الثقافة والسياسة والاجتماع » .

ويقول عبد السميع الهوارى فى دراسته الصهيونية بين الدين والسياسة :

« غير أنه بتطور الأفكار السياسية والنظريات الاجتماعية فى أوربا والتى أسفرت عن فصل الدين عن الدولة فى مجال السياسة والاعتراف بحقوق الإنسان وشيوع الحركات التحررية تأييداً لهذه الحقوق فقد كفلت الدول لمواطنيها المساواة فى الحقوق وفى الواجبات وبذلك تخفف اليهود من كثير من القيود التى كانت تعتاق منا شطهم وكفلت لهم الدساتير من الحقوق المدنية والسياسية ما مكنهم من ممارسة نشاطهم الخاص أكثر ثقة واطمئنانا » .

ثانياً : آثار العمل بمبدأ الفصل بين الدين والدولة :

(أ) الآثار المباشرة :

(١) ضعف الاحزاب الدينية واستنكار قيام جماعة دينية ذات صبغة سياسية :

معنى الفصل بين الدين والدولة ببساطة ألا يتعدى طرف على اختصاصات الآخر وقيام جماعة دينية بنشاط سياسى فيه خروج على هـذا المفهوم لأن العمل السياسى والتنظيمات السياسية اختصاص أصيل للدولة طبقاً للمبدأ .

ولذلك كان طبيعياً ومنطقياً وبناء عليه أن يشجب الداعون لمبدأ الفصل بين الدين والدولة كل محاولة لقيام جماعة دينية ذات صبغة سياسية وهـذا ما تؤمن به الغالبية العظمى من الأحزاب السياسية الحديثة القومية النزعة والعلمانية المذهب .

وهكذا شبت الأحزاب الدينية فى أغلب أحوالها مستنكرة النشأة ضعيفة الجانب مهيضة الجناح وما نشأ قوياً من بينها ظل مستهدفاً من أعدائه حتى اعتل عـــوده الأمر الذى نلمسه ونشهده واضحاً بيننا الآن بالنسبة للأحزاب الديموقراطية المسيحية . وعلى سبيـل المثال بالنسبة للوضع فى إيطاليا قلعة الكاثوليكية وفى الانتخابات الأخيرة لعام ١٩٧٦ انخفض عدد مقاعد الديموقراطيين المسيحيين فى مجلس النواب من ٢٦٦ مقعداً إلى ٢٦٣ بينما زادت مقاعد الشيوعيين فى نفس المجلس إلى ٢٢٨ مقعداً بعد أن كان لديهم ١٧٩ مقعداً فقط . ولأول مرة بعد انتخابات ١٩٧٦ يصبح شيوعى رئيساً لمجلس النواب الإيطالى ويتقرر تسليم رئاسة خمسة من أبرز اللجان البرلمانية للشيوعيين .

● هذا ولا يفوتنا فى هذا المقام إبراز حقيقة هامة وخطيرة وهى أنه إذا جاز لنـا أن نقول بأن مبدأ الفصـل بين الدين والدولة قد أدى إلى ضعف الأحزاب الدينية وتدهور الدين فلا يفوتنا أيضاً ملاحظة أننا أمام ظاهرة العـكس فيها صحيح بمعنى أن تدهور الدين بانحراف رجاله وتحريف كتبه وضعف حجته

وقصور شريعته قد أدى إلى المطالبة بفصل الدين عن الدولة . والأمر من قبل ومن بعد إنما يخص المسيحية بالذات ولظروفها الخاصة ولا يجرى بحال من الأحوال على غيرها من الأديان كقاعدة مسلمة لا تقبل الجدل أو المناقشة .

(٢) عدم اهتمام الدولة الحديثة والحركات السياسية الحديثة بالنواحى الدينية ومتطلباتها :

كان الفصل بين الدين والدولة فى نظر المؤمنين به فصلا غير مشروط بشرط أو مقيد بقيود يلزم بها أحد الطرفين الطرف الآخر فكان فى حقيقتة انطلاقاً للدولة الحديثة إلى أبعد الحدود دون مراعاة لما يتطلبه الدين وما يفرضه من قيم وفرائض متعارف عليها .

وجاء ذلك واضحاً فى شتى النواحى السياسية للدولة الغربية الحديثة :

١ — فى السياسة الخارجية :

قامت الدولة الحديثة دون اعتبار لما لديها من دين باستعمار الدول النامية وإعلان الحروب على الشعوب الآمنة والاستعانة بشتى الوسائل الميكيافيللية فى سبيل تعزيز قوتها وإثراء شعوبها على حساب الغير بدون وجه حق .

٢ — فى السياسة الداخلية :

عقائدياً : منحت الشرعية لكل فكر الحادى ينكر الدين .

اقتصادياً : قام بناء الدولة الحديثة على أساس ربوى يبيح كل أنواع المعاملات المحرمة باتفاق جميع الأديان .

إجتماعياً : انتشرت موجات الانحلال دون قيد أو شرط بل منحت الشرعية للبغاء الرسمى وأصبحت الدولة الحديثة تتقاضى رسوماً وضرائب مقابل ذلك وشاعت موجات العرى والرقص الجماعى وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولعب الميسر والقمار وقامت العلاقات غير الشرعية على أسس فلسفية كالفلسفة الوجودية بل ووافقت

بعض المجالس النيابية على حق الفرد فى مجال الشذوذ الجنسى .

(٣) تصدير مبدأ الفصل بين الدين والدولة إلى الدول النامية وأبناء الديانات الأخرى :

تم ذلك فى يسر وبساطة وبأقل مجهود فى وقت كانت فيه الشعوب النامية مغلوبة على أمرها تحتل دول الغرب ديارها والمغلوب طبقاً لما يقرره ابن خلدون علامة علم الاجتماع مولع بالاقتداء بالغالب ويقول ابن خلدون فى هذا المعنى :

« فالنفس تعتقد الكمال فيمن غلبها بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب وإنما لكمال الغالب فانتحلت مذاهبه فى ملبسه ومركبه وسلاحه » .

وانتشرت الأحزاب العلمانية والمذاهب القومية فى ربوع البلاد النامية تعلن فصل الدين عن الدولة منتحلة المبدأ على علاته ودون اعتبار لاختلاف الدين هنا عن هناك .

وأكثر من ذلك أصبح بعض رجال الفكر السياسى الإسلامى والهودى يشجبون الجماعات الدينية ذات الصبغة السياسية ويستنكرون اشتغال رجال الدين بالسياسة ويؤيدون فصل الدين عن الدولة .

يقول الدكتور عبد الحميد متولى أستاذ القانون الدستورى والأنظمة السياسية تحت عنوان نقد فكرة قيام جماعات دينية ذات صبغة سياسية فى الدول الإسلامية تهدف إلى تولى زمام الحكم : « ليس الذى يصح أن تؤاخذ عليه بعض الجماعات الدينية فيما نعتقد مقصوراً على الوسيلة يعنى استعمال العنف — إنما هو كذلك يشمل الهدف وهو الجلوس على مقاعد الحكم باسم الوقوف مواقف الدفاع عن الإسلام وتطبيق أحكامه » . إلى أن يقول :

« لذلك كله لم يكن عجيباً أن أجدنى منذ أربع عشرة من السنين أكتب مطالباً أن يكون أساتذة الجامعة — وبخاصة اساتذة القانون الدستورى والأنظمة السياسية — بمنأى عن مثل ذلك الجو ومثل ذلك النشاط السياسى .

وهكذا يرى أن الذى أطالب به الآن رجال الدين أو رجال تلك الجماعات الدينية ذات الصبغة السياسية هو ذاته الذى سبق لى أن طالبت به رجال العلم أو رجال تلك المعاهد العلمية(١) .

ويقول الدكتور إبراهيم عبده فى كتابه « أقول للسلطان » :

« إن الدين والتقاليد واللغة ليست مبررات لقيام الأحلاف والوحدات وإلا كانت هناك وحدة بين بلجيكا وفرنسا . . . » .

ويقول اليهودى الألمانى — الأميركى وليام شلام متسائلا :

«كيف تريد إسرائيل إفهام العالم لوضعها الخاص ومركزها المميز طالما أن ذلك ان يتحقق إلا عن طريق الفصل الكامل والتام بين الدولة والدين ؟ وكيف للعالم أن يفهم بأن اليهود يطالبون بمثل هذا الفصل فى كل مكان من العالم ماعدا فى إسرائيل بالذات ؟ وهل من الممكن قيام دولة علمانية فى إسرائيل طالما أن التشريعات الدينية الإسرائيلية آخذة فى التزايد من يوم إلى يوم ؟ »(٢)

ويقول لطفى السيد :

« إن وحدة الاعتقاد سبب من أسباب المشابهات بين الأفراد وعامل من عوامل التضامن ، ولكنى أنكر أشد الانكار أنها تصلح لأن تكون فى القرن

---

(١) أزمة الفكر السياسى الإسلامى د . عبد الحميد متولى .

(٢) قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل أسعد رزوق .

العشرين قاعدة للأعمال السياسية التى يجب أن تبنى على المنافع لا على المعتقدات »(١) .

ولم يقتصر أمر تصدير مبدأ الفصل بين الدين والدولة على مجال الغزو الفكرى والتبشير الأجنبى والتأثر الفردى بل تعدى ذلك إلى حد فرض المبدأ على المستوى الدولى والسياسى وأكبر شاهد على ذلك ما يطالعنا به بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ والشهير باسم « شروط كرزن الأربعة » وهى :

أولا : قطع كل صلة بالإسلام .

ثانياً : إلغاء الخلافة .

ثالثاً : إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

رابعاً : إتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام .

(٤) العبث والضياع :

مهما حاول أنصار الفصل بين الدين والسياسة الدفاع عن فكرتهم محتجين فى ذلك بما حققه هذا الفصل من استقرار الأوضاع السياسية وانطلاق الملكات العلمية الخلاقة فإن الباحث المتأمل لما آلت إليه الأوضاع فى البلدان المسيحية لايسعه إلا أن يقر بالعبث والضياع كواحد من الآثار المباشرة لهذا الفصل النكد .. وإلا فأى عبث أكثر مرارة وأدعى للغثيان من هذا المصير العارى المفضوح ؟! دولة عظمى تدعى الانتساب إلى السيد المسيح وتبيح الشذوذ الجنسى وتنظمه بقانون ؟! بل دول بأكملها تدعى الانتساب إلى المسيح عليه السلام وتمنح الشرعية فى نفس الوقت للبغاء والإلحاد والعرى الجماعى والاجهاض والربا !! وتسوى فى الحقوق والواجبات بين الملحد وصاحب كتاب !! ولا تفرق بين بناء كنيسه وإنشاء نادى للعراة ؟!

---

(١) العروبة والاسلام أنور الجندى .

ويحار المرء حيال ذلك مستفسرا . . لم كان إذاً بعث المسيح عليه السلام ؟! وهل كانت خراف بنى إسرائيل الضالة أكثر ضلالة مما عليه خراف العصر الحديث ؟! ذلك مع الفارق . . فقد تعذر بعض الشيء خراف بنى إسرائيل الضالة فى العهد القديم لوقوعها تحت سيطرة سلطة وثنيه أجنبية من جبابرة الرومان الملحدين . . وخراف هذا العصر الضالة إنما تمنح الرخصة والشرعية فى ضلالتها من لدن سلطة تنسب نفسها للمسيح والمفروض فى شأنها أنها الدولة مسيحية؟!

وفيما كان ذبح نبى الله يحيى عليه الصلاة والسلام وتقديم رأسه الشريف على طبق يتسلى ويعبث به الطغاة السكارى ؟! ألم يكن احتجاجا على علاقة غير شرعية ؟! وبسبب كلمة أعلنها مدوية « ياهيرودس . . ليس لك حق فى امرأة أخيك !! »

والبغاء اليوم يمنح الشرعية ويصرح له ببيوت رسمية . . والعرى الجماعى يمنح الشرعية ويصرح له بنوادى رسمية . . والالحاد يمنح الشرعية ويصرح له بأحزاب رسمية . . وكذلك الربا والاجهاض والشذوذ الجنسى ؟! وكل «بابا» وكل «قس» فى الدنيا يعلم ذلك جيداً . . ويكتفى بطرح القضية برمتها لعدم الاختصاص ويحاول عبثا اقناع نفسه بأن ذلك كله من اختصاص الدوله . . دولة قيصر وسلطتها الزمنية ؟! ولا ندرى ما الذى يتبقى بعد ذلك ليعد من اختصاص دولته التى هى دولة الله ؟!

وهل يشفع له عند الله يوم العرض عليه مبدأ الفصل بين الدين والسياسة ؟! إنه العبث . . وأى عبث . . عبث يدفع لا محالة إلى الهاوية والضياع إن آجلا أو عاجلا ؟! وليس بمستغرب بعد ذلك أن ترتفع نسبة الانتحار والشعور بالاغتراب فى بلاد متقدمة تكنولوجيا وعلميا وسعيده ماديا . .

● وأغرب ما طالعنا به العصر عملية الانتحار الجماعى التى لا نعلم لها مثيلا على مدى التاريخ منذ بعث المسيح عليه السلام وحتى الآن . . ذلك أن «قسا» عرف بسحر بيانه وشهد له وزكاه علية القوم فى أرقى بلاد العصر الذى وصل رواد فضائه إلى سطح القمر . . ذلك القس هو « جيم جونز » الذى راح يؤسس هو

وأتباعه مجتمع العدالة والمساواة والمثالية فى ولاية « جويانا » بأمريكا الجنوبية فإذا بالعالم يفاجأ به يمارس وأتباعه أحط أنواع الجنس الجماعى ثم يأمر قرابة ألف من أتباعه بالإنتحار الجماعى وهو معهم ومن بينهم قرابة نحو مائتى طفل ؟! قمة الضياع ومنتهى العبث . . ومهما كانت الأسباب والملابسات فإن مثل هذه الحالات الشاذة لا يمكن أن تناقش أو تحلل بعيداً عن مفهوم الفصل بين الدين والسياسة ؟!

(ب) الآثار غير المباشرة :

(١) القضاء على الدين :

الآثار غير المباشرة لمبدأ فصل الدين عن الدولة تؤدى جميعها إلى القضاء على الدين نهائيا ولكن ببطء وتدرج .

ومن المدافعين عن هذا المبدأ الخطير من هم على وعى بهذه الحقيقة ومنهم الطيبون الذين لا يدركون أبعاد مخططها الرهيب .

ولا يقال بأن تأكيد هذه الحقيقة وإثباتها يسهل العثور عليه فى مخططات اليهود والصهيونية العالمية وقد جاء فى البروتوكول الرابع « من بروتوكولات حكماء صهيون للقضاء على الإيمان بالله قولهم :

« ومن ثم يتحتم علينا أن ننتزع من أذهان المسيحيين فكرة الله والاستعاضة عنها بالأرقام الحسابية والمطالب المادية » .

لا يقال بذلك فحسب لأنه يؤكد جانبا واحداً من الحقيقة وهو التخطيط للقضاء على الأديان غير اليهودية ليخلو الجو لليهود فيقيمون دينهم ودولتهم وحكومتهم العالمية .

ولكن يقال من وجهة النظر السياسية البحتة أن مبدأ فصل الدين عن الدولة على المدى البعيد يؤدى بالضرورة إلى القضاء على الدين وذلك لأن الذين يأخذون بالمبدأ فاتهم ادراك حقيقة هامة من حقائق تغير الزمان وطبيعة العصر فوضح

للعيان عدم عدالة التوزيع بين جانبي الدين والدولة من حيث وسائل الحماية والدعاية . إذ مع الوقت أصبح من الممكن فى أى بلد من بلدان الدنيا يصل إلى موقع السلطة فيه حزب سياسى علمانى ينكر الدين وينكر وجود الله وتذرعا بالشرعية الديموقراطيه يسهل على حزب كهذا القضاء على الدين رسميا ونهائيا طالما كان الفصل قائما ومأخوذا به وللأحزاب السياسية تكتيكها وأساليبها وسلطاتها التنفيذية والتنظيمية التى لا تتوافر لأصحاب الدين وهم المحكوم عليهم بأن يعيشوا فى جماعات مسالمة للوعظ والارشاد غير مسلحين أو مؤيدين بأساليب التكتيك الحديثه والمتاجية لأنصار الدولة من رجال السياسية وإنها لقسمة مجحفة وغير عادلة ! !

والحجة ناصعة والشواهد قاطعة والدليل لا يرد من واقع عصرنا الذى نعيش فيه كذلك الذى حل بروسيا الأرثوذكسية !! وما يهدد إيطاليا الكاثوليكية !! .. وما عفا عليه الزمن مما يردده السذج من القول بالحتميات العلمية والمادية التاريخية والفلسفة الجدلية هل يمكن أن يفسر لنا ما وقع بالحبشة على عهد السفاح مانجستو؟! وفى عدن على عهد سالم ربيع ورفيق كفاحه عبد الفتاح إسماعيل الذى اغتاله ليحتل مكانه ؟ !

(٢) إقامة حكومة اليهود العالمية :

التخطيط اليهودى الصهيونى وراء تفجير فكرة الفصل بين الدين والسياسة وتعميقها وتدعيمها من خلال النظام السياسى الحديث بصفة عامة والنظام الحزبى بصفة خاصة . ، والقضاء على الدين كأثر من آثار الفصل بين الدين السياسة فى حالة يقظة اليهود وتخطيطهم المسبق والمرسوم يصبح من حظ ديانات غير اليهود .. بل إن ازدهار شأن اليهود وإقامة دولة لهم على طريق اقامة حكومة اليهود العالمية يصبح أثرا من آثار الفصل بين الدين والسياسة الذى خدع به أصحاب الديانات الأخرى

وقد ورد فى البروتوكول الرابع عشر :

« عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا — »

وورد فى البروتوكول السابع عشر :

« — ولايفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات . وسيكون القضاء على الديانات الأخرى أيسر من ذلك » .

وقد تم طبع البروتوكول الصهيونى سرا عام ١٨٩٧ أى فى نهاية القرن التاسع عشر وقبل نهاية القرن العشرين كان التخطيط السرى واقعا ناطقا والكلام النظرى حقيقة مُرّة وصادقة وإلا فما هو التفسير العلمى والواقعى وبكل المقاييس لاختفاء الدين المسيحى من دولتين . . . روسيا والحبشه وبداية انهيار الدين الإسلامى فى دولتين . . اليمن الجنوبية وأفغانستان فى نفس العهد الذى يقام فيه دولة اليهود على أساس دينى صريح وذات أطماع توسعية معلنة ؟

الإسلام
وظاهرة الفصل بين الدين والسياسة

لا محل للجدل ولا خلاف البتة على أن الإسلام لا يقبل الفصل بين الدين والسياسة شكلا أو موضوعا نصا أو روحا قولا أو عملا . فلا اجتهاد مع النص في الإسلام .

والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »

(سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣)

ويقول سبحانه وتعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »

(سورة البقرة ٨٥)

ويقول سبحانه وتعالى :

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء »

(سورة الأنعام ٣٨)

وكتاب المسلمين لم يفرط فى شىء ولم يفرق بين دين وسياسة أو بين عبادات ومعاملات .

يقول تعالى :

« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »
(سورة النساء ١٠٣)

ويقول تعالى :

« وأحل الله البيع وحرم الربا »

(سورة البقرة ٢٧٥)

يقول تعالى :

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . (سورة البقرة ١٨٣)

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (سورة البقرة ١٨٥)

ويقول تعالى :

« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله . وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

(سورة الروم ٣٩)

يقول تعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » (سورة آل عمران ٩٧)

ويقول تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »
(سورة التوبة ٦٠)

والصلاة عماد الدين والركن الركين فى العبادات يجمعها الله فى عشرات الآيات مع الزكاة وهى الفريضة المالية الحكمة يعلمها سبحانه وتعالى تقطع خط الرجعة على

كل مسلم مؤمن تحدثه نفسه بهذا الفصل النكد بين العبادات والمعاملات والفقهاء قديما وحديثا درجوا على وضع الزكاة فى باب العبادات من دراساتهم الفقهية غير مبالين بهذه التقسيمات الوضعية ما بين سياسية وأقتصادية ودينية .

يقول سبحانه وتعالى :

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »

(سورة البقرة ١١٠)

«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون »

(سورة المائدة ٥٥،٥٦)

« الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »

(سورة الحج ٤١)

« فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون »

(سورة التوبة ١١)

« فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم »

(سورة التوبة ٥)

ويقول سبحانه وتعالى :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »

(سورة المائدة ٤٤)

ومن أحكامه الثابتة المنزلة الواردة فى كتابه الكريم :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »

(سورة المائدة ٤٥)

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان »
(سورة البقرة ١٧٨)

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ . ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا »
(سورة النساء ٩٢)

« يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »
(سورة المائدة ٩٠ ، ٩١)

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »
(سورة النور ٢)

« والسارق والسارقة فاقطعو أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »
(سورة المائدة ٣٨)

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »
(سورة المائدة ٣٣)

« ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »
(سورة البقرة ٢١٧)

« من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن

من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم »
(سورة النحل ١٠٦)

وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من بدل دينه فاقتلوا »

والسراج المنير محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام كان النبى الرسول والحاكم بأمر الله والداعى لله بإذنه والمقاتل فى سبيل الله والمسالم على عهد الله والإمام فى الصلاة والجامع الزكاة والمؤذن بالحج وكانت سياسة الأمر شورى بينه وبين صحبه .

« قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً »
(سورة الأعراف ١٥٨)

« وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك »
(سورة المائدة ٤٩)

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
(سورة النحل ١٢٥)

« فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا »
(سورة النساء ٨٤)

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »
(سورة الأنفال ٦١)

« وأقم الصلاة لذكرى »
(سورة طه ١٤)

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »
(سورة التوبه ١٠٣)

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »
(الحج ٢٧)

« وشاورهم فى الأمر »
(سورة آل عمران ١٥٩)

« وأمرهم شورى بينهم »
(سورة الشورى ٣٨)

هذا هو جوهر الرسالة المحمدية والأصل الذى لاخلاف عليه فى الإسلام : دين كامل متكامل لايقبل التبعيض أو الانفصام .

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق يصبح أى حديث عن الفرق والأحزاب فى ظل الإسلام مقيدا بهذا الشرط رافضا لكل محاولات الفصل بين الدين والسياسة .

ولكى نزيد الأمر وضوحا ننبه فى هذا المقام لعدة حقائق هامة نسترشد بها فى هذه القضية الخطيرة .

أولا : المتفق عليه فى الإسلام والثابت بالنص الذى لا اجتهاد معه عدم الفصل بين صلاة وزكاة أو بين شعائر دينية ومناهج سياسيه . . لذلك وجب شرعا ألا يظهر أو يقام فى كنف الإسلام نظام حزبى ينادى بهذا الفصل . . ولا يسمح للأحزاب فى ظل الإسلام وتحت لوائه بالتفرقة فى براجها وأهدفها بين عبادات ومعاملات .

وعلى هذا الأصل كان السلف . . وعلى ذلك كانت الأحزاب التى ظهرت فى العهد الأول للإسلام : الخوارج والشيعة وبينهم الوسط الغالب والمعتدل من أهل السنة . إذ رغم اختلافهم فى الكبيرة والصغيرة . . ورغم كل ما كان بينهم من خلافات وصراعات . . لم يختلفوا على الإطلاق حول شمولية هذا الدين ورفضه لكل أنواع التجزئة والتبعيض .

● كان للشيعة منهجهم السياسى الخاص بهم وأفكارهم المميزة كالقول بمبدأ التقية وحصر الخلافة فى أهل بيت الإمام على بن أبى طالب . كما كان لهم اجتهاداتهم

الفقهية ومن أعلامهم فى هذا المجال إمام الزيدية زيد بن على زين العابدين وله مؤلفه الشهير فى الفقه كتاب « المجموع » وأهم الدول التى قامت على مذهبهم دولة الأدراسة ودولة الفاطميين ودولة بنى بويه .

● وللخوارج كذلك أفكارهم السياسية بجوار اجتهاداتهم الفقهية . فهم يقولون بحق اختيار الخليفة اختيارا عاما يقوم به عامة المسلمين وحق كل بيت من بيوت المسلمين فى ترشيح من يراه من أهله كفأ لهذا المنصب .

ويرفض الخوارج مبدأ التقية ويؤمنون بالخروج على السلطان الجائر مهما كانت الظروف.

وفى نفس الوقت منهم الاباضية أصحاب فقه جيد قريب من فقه أهل السنة له أتباعه حتى الآن .

وقامت على مذهبهم الدولة الرستمية .

ولاحتاج فى هذا المقام لدراسة الفرق والمذاهب الإسلامية دراسة تفصيلية للاستنتاج والاستدلال كالشأن عما كان بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية . . ذلك لأن أصول الشريعة الإسلامية قد حفظت لاخلاف بحيث لو جاءت دراسة الفرق والمذاهب الإسلامية على نقيض ما هو ثابت بالنص لزم ترجيح الثابت والمتفق عليه فى أصول الشريعة . . بعكس الوضع فى ظل الديانات الأخرى حيث ثبت وقوع التحريف والانحراف فى الأصول والمصادر الدينية فلزم البحث عن الحقيقة واستنتاجها من واقع تتبع حال الفرق والمذاهب على الطبيعة .

هذا وإذا كان رفض الفصل بين الدين والسياسة من جانب الفرق والمذاهب الإسلامية القديمة واضحا وضوح شمس النهار فالأمر على عكس ذلك بالنسبة للحركات والأحزاب السياسية الحديثة فى بلاد المسلمين إذ مازالت غالبيتها فى ذلك متأثرة بما صُدِّرَ إليها أو استوردته من الفكر السياسى الغربى .

ثانيا : كما يرفض الإسلام الفصل بين الدين والسياسة موضوعا يرفضه شكلا ولغة ولفظا فالدين يحتوى السياسة والسياسة فرع من فروع الدين وفصل

السياسة عن الدين كفصل جزء من الكتاب عن بقية أجزائه والفصل الذى تم على عهد المسيحية كان فصلا تعسفيا فرضته ظروف صراع خاصة بين الكنيسة والدولة كما سبق وبينا إذ فى العادة لا يطلق الفصل أو يطلب لغة إلا بالنسبة لأمرين يمكن استقلال أحدهما عن الآخر كأن يقال الفصل بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية أو الفصل بين البنين والبنات . أما أن يقال الفصل بين القوات المصرية والطيران المصرى أو يقال الفصل بين الرجل وذراعه أو الفصل بين الرجل ورأسه فهو مما لا تحمد عقباه لأنه فصل بين جزء من الشيء وبقيته وكلا الطرفين يعتمد فى حياته وبقائه على الآخر .

وإذا جاز لنا تشبيه الاعتقاد فى الإسلام بالقلب النابض والعبادات بالأجهزة والأطراف المتحركة والسلطان بالرأس المفكر الحارس فأى هذه الأعضاء يمكن فصلها عن الآخر وهل يقوى عضو منها على البقاء والحياة بمعزل عن بقية الأعضاء وهل يمكن فصل الرأس المفكر والحاكم والحارس عن بقية الجسد وقد صدق القول المشهور :

« إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن »

● ومثال ذلك من الأخطاء اللغوية التى شاعت على لسان المسلم المخدر بفعل مفهوم الفصل بين الدين والسياسة أن يقول أحوالنا السياسية والدينية والإقتصادية وكأن الدين شيء منفصل عن السياسة وعن الاقتصاد .

ثالثا : لا شك فى أن الغرب المسيحى هو صاحب مبدأ الفصل بين الدين والسياسة كما أنه لا خلاف على أن الغرب المسيحى أيضاً هو الرائد وصاحب الفضل فى بعث وتطوير وتأصيل النظام الحزبى كفن من فنون السياسة الحديثة ..

ولما كان الأصل واحدا كان طبيعيا أن يتأثر اللاحق بالسابق . وعلى وجه التحديد لما كان النظام الحزبى الحديث قد نشأ ونما فى بيئة تأخذ بالفصل بين الدين والسياسة كانت النتيجة المتوقعة والطبيعية لذلك هى تميز نوعين من الأحزاب : أحزاب دينية وأحزاب سياسية . ولما كان الدين هناك وطبقا لمبدأ الفصل المعمول به قد تم اعتقاله فى حظيرة الشعائر والعبادات المحدودة وأطلق سراح السياسة فى

غاية بلا قيود ولا حدود ولدت الأحزاب الدينية ضعيفة الجانب واستمرت مهيضة الجناح تتراجع يوما بعد يوم وتنكمش أمام زحف الأحزاب السياسية العلمانية صاحبة السطوة والسيطرة وحق الحركة الشاملة لشغل المسرح السياسى ككل . وتم تصدير الوضع أو استيراده بخيره وشره لبلاد المسلمين وظلت الأحزاب السياسية العلمانية صاحبة الأمر والنهى والمسيطر الوحيد على المسرح السياسى فى غالبية بلاد الشرق الإسلامى وإلى يومنا هذا .

إلا أنه للحق ولاختلاف طبيعة الدين هنا عن الدين هناك وبعد انحسار قبضة المستعمر الذى ظل كاتما لأنفاس العباد فى المنطقة على مدى فترة طويلة من الزمان . . . وبعد يقظة طلائع البعث الإسلامى فى العصر الحديث وادراكها للأبعاد الحقيقية وراء المخططات المعادية للإسلام يبرز الواقع حقيقة على درجة كبيرة من الأهمية :

وهى أن المستقبل أمام الأحزاب والحركات الدينية المعاصرة فى بلاد المسلمين يبشر بالانتعاش والازدهار فى وقت نلمس فيه إتجاه الحركات والأحزاب المماثلة فى البلاد المسيحية نحو الإضمحلال والانحسار .

وعلى سبيل المثال ما يحدث فى تركيا مقارنا بجاراتها من دول أوربا المسيحية حيث يصعد حزب سلامة الإسلامى إلى المرتبة الثالثة فى فترة وجيزة من الزمان ويزاحم حزب الشعب حزب مصطفى كمال أتاتورك العلمانى الذى قضى على الخلافة وغير وبدل وسيطر على مدى قرابة نصف قرن من الزمان ليصول ويجول كحزب طورانى النزعة غربى الوجهة يكيد للإسلام علانية كما يأخذ رسميا بسياسة الفصل بين الدين والدولة .

رابعا : لايوجد حظر من نوع ما على قيام الأحزاب الدينية فى بلاد الغرب المسيحى صاحبة مبدأ الفصل بين الدين والسياسة . وكان محيرا وغريبا أن يطالعنا فى مصر بالذات بلد الأزهر الشريف قانون الأحزاب الجديد الصادر فى عام ١٩٧٧ وبه مادة يندر وجود سابقة لها تشترط عدم قيام الأحزاب على أساس طائفى أو بسبب العقيدة الدينية ومن اختصاص أساتذة الدستورى والنظم

السياسية مسئولية الحكم على مدى دستورية هذا الشرط فى بلد دينه الرسمى الإسلام بنص الدستور والغالبية العظمى لسكانه من المسلمين والإسلام يرفض الفصل بين الدين والسياسة .

لكن الذى يعنينا فى هذا المقام بصفة عامه وغير متخصصة هو أنه من غير المعقول أن نسرف ونجنح فى التعصب لمبدأ الفصل بين الدين والسياسة إلى حد النص قانونا على اشتراط قيام الأحزاب على أساس غير دينى بينما التمسك باشتراط العكس هو الصحيح والمتوقع فى ظل الشريعة الإسلامية !! والبلاد التى صدَّرَتْ لنا مبدأ الفصل بين الدين والسياسة لا تضع حظرا من هذا النوع على قيام الأحزاب الدينية . فهل يمكن أن نكون ملكيين أكثر من الملك ذاته ؟!

خامسا : ربما دافع البعض عن مفهوم الفصل بين الدين والسياسة بحجة تطور العصر وحتمية التخصص وأن لكل فرع رجاله . . ولا اعتراض على ذلك وإنما الاعتراض على الفصل بين الدين والسياسة بمفهومه الغربى من حيث انطلاق كل منهما محرراً إلى أقصى حد غير مقيد بما عند الآخر . . فالدين فى ظل الإسلام أشمل من السياسة وبجانبه الحكم النهائى والغربلة النهائية لكل منجزات العصر فى شتى التخصصات !! ولا يجوز للسياسة فى ظل شريعة الإسلام أن تبيح ما هو محرم ديانة ومعلوم وثابت بأصل من أصول الشرع . . فلا يباح ربا أو الحاد أو بغاء أو زنا بالتراضى ولا يعطل حد من حدود الله . . ولا يمنح الشيوعى الملحد الشرعية والحق فى إنشاء حزب سياسى ويحرم من ذلك المسلم الموحد . . ولا يبت فى صغيرة أو كبيرة من أمور الشرع المتفق عليها فى غياب رجال الدين .

الخـــاتمة

الفصل بين الدين والسياسة بدعة ابتدعها الغرب المسيحى تحت ضغط ظروف خاصة به فرضها الصراع الدموى المرير بين الدولة والكنيسة خاصة بعد ما تمادت الكنيسة فى اضطهادها البشع لعلماء عصر النهضة وفلاسفة التنوير وبعد ما ثبت تحريف الكتب المقدسة تحريفاً فجاً لا يغيب على فطنة القارىء العادى تعمد اقتراف هذا التحريف لخدمة أغراض تجار الدين وأصحاب المصالح من المغرضين .

والقول بالفصل بين الدين والسياسة لا يرقى إلى مستوى النظرية العلمية أو المبدأ الثابت فلم يكن هناك فى يوم من الأيام وفى ظل دين من الأديان وخاصة ديانات أهل الكتاب فصل تام بين الدين والسياسة أو حتى شبه تام .

وإذا كان العمل بالفصل بين الدين والسياسة يرجع فى نشأته وتطوره لأسباب وظروف مسيحية بحتة إلا أن أخطار ما جدَّ على هذه البدعة فجر آثارها المدمرة فى عصرنا الحديث هو تبنى الصهيونية العالمية لها من فترة لتسهيل خروج اليهود من مجتمع الجيتو ، فراحوا يطالبون باسم حقوق الانسان تأكيد الفصل بين الدين والسياسة ليتساوى اليهود مع غيرهم فى الحقوق المدنية والسياسية ويحق لهم الوصول إلى أرقى المراكز القيادية وأخطرها . وهم فى كل ذلك يسيرون طبقاً لتخطيطهم السرى وبروتوكولاتهم الصهيونية العمل من أجل إقامة حكومة يهود العالمية وبعث دوله شعب الله المختار بعد القضاء على الديانات الأخرى .

وبالنظر إلى الفصل بين الدين والسياسة من خلال نظام الأحزاب السياسية الحديثة نستطيع أن نقول رغم أن نشأة الأحزاب السياسية بمفهومها الحديث كان على أساس دينى وبسبب خلافات دينية ومن أجل مصالح وأهداف دينية إلا أن ازدهار فكرة الفصل بين الدين والسياسة وتبنى مبدأ العلمانية وامتداد هذا الفصل النكد إلى مجال النظام الحزبى الحديث أدى بالضرورة إلى تصدر وتفوق الأحزاب السياسية البحتة ولو كانت أحزاباً ملحدة كالأحزاب الشيوعية وتخلف وانكماش الاحزاب

الدينية خاصة وأن رجال الاحزاب السياسية يتقنون من الحيل والأساليب الميكيافيلية مالا يدركه ولا يرضاه الآخرون من رجال الدين . كما أن السلطة فى جانب رجال السياسة وهى أقوى من العاطفة التى هى كل رصيد رجال الدين الامر الذى أدى فى النهاية إلى القضاء على الدين كلية فى بعض البلدان كما سبق وذكرنا بالنسبة للاتحاد السوفيتى والحبشة .

وإذا كان أول الغيث قطرة فلا شك أن الاخذ بفكرة الفصل بين الدين والسياسة أدى بعد فترة ، وفى النهاية إلى القضاء على الدين وبقاء السياسة بغير دين .

تم هذا فى الشرق الارثوذكسى فى روسيا وفى طريقه إلى التمـــام فى الغرب الكاثوليكى وقد قويت شوكة الأحزاب الشيوعية الاوربية وهى تجلس حاليا على عرش المرتبة الثانية بجدارة تؤهلها للوصول إلى نهاية المطاف واكتمال الشوط .

أما بالنسبة لدول العالم الإسلامى وقضية الأحزاب السياسية والفصل بين الدين والسياسة فالأمر جد خطير ويستحق اليقظة والتنبه لمكامن الخطر . . .

الخطر الذى يهدد بضياع الدين بأكمله من دول بأكملها وليس مجرد التفريط فى حد من حدود الله أو فرض من فرائض شريعته ! !

والقول بالفصل بين الدين والسياسة فى ظل شريعة الإسلام قول شاذ وعجيب وغريب على الحس الإسلامى ومرفوض شكلا وموضوعاً من شريعة الإسلام الكامل وترده أصول الفقه الحنيف وطبيعة الإسلام وظروف انتشاره وبقاء مصادره بغير تحريف . . .

ولكنه المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب ورحم الله المؤرخ والفيلسوف ابن خلدون ! !

ولا حصر للأدلة العيان والشواهد الثابتة على تورط النظم الإسلامية الحديثة وانحرافها وبجافاتها لروح الشريعة بسبب أخذها بفكرة الفصل بين الدين والسياسة وامتثال أحزابها السياسية لهذا الفصل النكد .

وعلى سبيل المثال وبالنص الواحد ورد فى دستور الجمهورية التركية الصادر فى ٩ يوليو سنة ١٩٦١ .

« الجمهورية التركية دولة قومية ديمقراطية علمانية واجتماعية . . »

« ينبغى أن تكون أنظمة وبرامج ونشاط الأحزاب السياسية مطابقة لمبادىء الجمهورية الديمقراطية والعلمانية . . . »

« ولا يجوز أن يرغم أى فرد على أداء العبادة ولا على الاشتراك فى المراسم والاحتفالات الدينية ولا على التصريح بمعتقداته وآرائه الدينية كما لا يجوز انتقاد أحد بسبب معتقداته أو آرائه الدينية . .)

« — كما لا يجوز الاستناد إلى التعاليم الدينية لتأييد نظام الدولة الاجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى أو القانونى وكل من يخالف ذلك أو يدفع الغير إلى مخالفته يعاقب وفقاً للقانون . »

ومن ذلك أيضاً ماورد فى الشرط الثالث من المادة ٤ من قانون الاحزاب المصرى الجديد الصادر فى سنة ١٩٧٧ ونصه :

« عدم قيام الحزب على أساس طبقى أو طائفى أو فئوى أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب العقيدة الدينية أو العنصر أو الجنس »

وأخيرا ومن واقع أحدث التجارب المريرة وأخطرها فى عالمنا الإسلامى يحق لكل مسلم يغار على دينه أن يسأل نفسه تفسيرا لهذا اللغز العجيب . .

لو أن الذى وقع مؤخرا فى عدن وأفغانستان كان من تدبير حزب إسلامى يسعى من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية مع الفارق فى المنهج والوسيلة بطبيعة الحال . لو أن ذلك وقع لأقام أعداء الإسلام الدنيا وأقعدوها باسم الطائفية والتعصب الدينى وتهديد الوحدة الوطنية واعتبروا ذلك خروجا على مبدأ الفصل بين الدين والسياسة ذلك الوثن الذى ابتدعوه فعبدوه . . واعتبروها جريمة أن يقام حزب على أساس دينى . .

أما وقد كان الذى وقع من تدبير أحزاب شيوعية ملحدة العقيدة دموية المنهج تسعى من أجل القضاء على الدين فلا حرج مادام الأمر متفقاً والوضع منسجماً مع مفهوم الفصل بين الدين والسياسة !!

غاية الأمر وموجز القول وأهم ما يستحق التنبيه إليه فى النهاية أن حرية تكوين الأحزاب فى ظل مفهوم الفصل بين الدين والسياسة مما يشكل قضية بالغة الخطورة لايعلم غير الله مدى التبعة والمسئولية التى يفرضها الواجب الشرعى بشأنها على شعوب المسلمين وحكامهم وفقهائهم وعلمائهم و «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعتيه »

وفقنا الله وهدانا ووقانا شر فتنة لاتصيبن الذين ظلموا خاصة .

« فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين »

والله المستعان وبالله التوفيق وعلى الله قصد السبيل .

وصدق الله العظيم :

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »

(الأنعام : ١٦٢)

غرة صفر لعام ١٣٩٩ هجرية

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥١١ لسنة ١٩٧٩

مطبعة الفجالة الجديدة
محمد محمد عبد الرحمن السنوسي
٥ حارة الجامع بحارة اليهود بالموسكي

صدر للمؤلف :

﴿ الإسلام والأحزاب السياسية ﴾

تحت الطبع للمؤلف :

﴿ وا شريعتاه !! ﴾

الناشر
مكتبة قليوب للطبع والتوزيع
ت: ٩٥٦٤٨٨